المسلمون والعرب من الذروة إلى الحضيض

د. حامد العطية

2024م

المسلمون والعرب من الذروة إلى الحضيض

د. حامد العطية

2024م

المحتويات

مقدمة

رفع الإسلام العرب إلى ذروة الخلق وهم وبقية المسلمين هبطوا بأنفسهم إلى الحضيض، أطلقهم الإسلام من أسر الجاهلية وارتقى بهم إلى الفضاء الواسع للحرية والتعلم والقيم السامية، فلم يمر وقت طويل حتى تخلوا عن الحرية وارتضوا الطاعة العمياء لحكامهم، وحصروا التعلم بمتعلمي الفقه، وغلبوا التفاصيل الاصيلة والمبتدعة في الدين على جوهره النقي السامي، وتقاتلوا على السلطة والتسلط، وتخاذلوا أمام الإعداء، فانتهوا تحت احتلال وسطوة الكفار والمشركين من الضالين والذين غضب الله عليهم، وأهدروا النعم التي أنعم الله بها عليهم، وقدموها قرابين تقرباً لأصنامهم الجديدة من النظم الأشد عداوة لدينهم وشعوبهم، فهبطوا بأنفسهم وشعوبهم إلى أسفل سافلين مخلوقات الله، وكانوا بحق الأمة التي سخرت الأمم والأجيال من جهلها ونفاقها وخذلانها، ولم تتميز عن هذه الحالة المخزية الذليلة سوى قلة تعد على أصابع اليد الواحدة ناصبتها دول الاستعمار والإمبريالية العداء المطلق وبمعاونة أذنابهم من المنافقين والمرتدين الدخلاء على الإسلام والعروبة لمجرد رفضها ذل التبعية وتمسكها بكرامة شعوبها.

لا يخفى سقم المسلمين والعرب على أحد، إلا من قبل بالعبودية المستحدثة واستمرأ الذل والهوان، وما المقالات التي كتبتها عن هذا الخطب الجلل الذي حلل بنا سوى صراخ المتألم وشكوى المفجوع، ولتكن أيضاً بمثابة الأصابع التي تنكأ الجرح الغائر، فأما حياة تغيض الأعداء والخونة أو التعجيل بهلاك من لا يستحق الحياة الكريمة.

1400 عاماً من الفشل

كان للهجرة النبوية أبعاد، فعلي متعلق بتغيير المكان، ومعنوي ينبذ تراثاً متخلفاً ويستبدله بمنهج إنساني قويم، وبعد ثالث يتجاوز حدود المكان والزمان، كوني في انطباقه، وتطوري في مسيرته عبر الزمن.

جوهر الاسلام هجرة، من الجهل إلى المعرفة، لذا كانت أول كلمة منزلة: اقرأ، وفدية الأسير تعليم القراءة والكتابة، لكننا خالفنا الأمر الرباني، وأهملنا الإرشاد النبوي، وظلت القراءة والكتابة حكراً على أصحاب السلطة والأثرياء والقلة الطامحين، وفي الحاضر الذي محيت الأمية فيه من بلاد غير المسلمين أو تكاد ما زال أكثر من نصف المسلمين أميون، وهو مؤشر على الفشل الذريع.

لا يوجد دين يضاهي الإسلام في حثه على طلب المعرفة، ولو كانت في الصين، ومن المهد إلى اللحد، المأمون العباسي المعتزلي والحاكم بأمر الله الفاطمي الإسماعيلي استثناءان نادران على معظم الحكام، في رعايتهما للعلم والعلماء، ويؤكد غسان إبراهيم وعلي شاش بأن التقدم المعرفي أثناء حكم العباسيين " لم يكن نتيجة برنامج حكومي وضع عن سابق قصد وتصور من قبل دولة الخلافة هذه، وإنما تحقق بفعل آلية التطور العفوي للمجتمعات والشعوب" (بنية الدولة الشرقية: محاولة في دراسة وتحليل الاستبدادية والمركزية: الدولة العباسية نموذجاً. دمشق: دار الجندي، 1993، ص 85)، دفع الخوف من جور السلطة بجابر بن حيان للفرار من بغداد إلى طوس، وابن سينا سجن أكثر من مرة، وابن الهيثم اتهم بالزندقة وطورد من البصرة إلى بغداد ثم القاهرة، واحرقت كتب ابن رشد وكاد أن يدان بالكفر، وجلدوا الكندي وصادروا مكتبته، واعدموا ابن الزيات وأبو الحسن الطوسي والطغرائي، ولعل أسوء الحكام في تعاملهم مع العلماء السلطان محمود الغزنوي السلفي، ويذكر سليمان فياض بأن هذا السلطان قبض على جمهرة من العلماء " وعقد لهم محكمة سريعة، اتهمهم فيها بالكفر والزندقة لأنهم يشتغلون بعلوم لا يفيد منها إلا القرامطة، أعداء مذهب أهل السنة، وأمر بإلقاء عدد كبير

منهم، من برج في قلعة قصره، فلقوا حتفهم وكان من بينهم العالم الفلكي، عبد الصمد الحكيم، أستاذ البيروني، وكاد البيروني يلقى نفس المصير لولا تدخل رجال بلاط القصر، فأمر السلطان بتحديد إقامته." (البيروني: عالم الجغرافيا الفلكية. القاهرة: مركز الأهرام للترجمة والنشر، 1992، ص 24).

ومن المفجع بأن المسلمين اليوم أقل الأمم انتاجاً للعلم والمعرفة، إذ يقل معدل انتاج الدول العربية والاسلامية للمعرفة عن المعدل العالمي بدرجات، وهو الفشل بعينه في عصر المعرفة والمعلومات.

في الاقتصاد أيضاً المسلمون يستهلكون أكثر مما ينتجون، في الماضي والحاضر، وكل مؤسساتهم الاقتصادية نسخ مطابقة أو محورة لمؤسسات اقتصادية غربية، بعضها متناقض مع تعاليم الإسلام، وكان الاقتصاد الاسلامي في عهود الامبراطوريات الأموية والعباسية والمملوكية والعثمانية ريعياً بامتياز، يعتمد الخراج والجزية، وما زالت اقتصاديات كثير من الدول الاسلامية متخلفة، معظم مواردها من عوائد النفط والموارد الطبيعية وتحويلات العمالة المغتربة، عندهم أراض خصبة ومياه وفيرة وقوة عاملة لكنهم يستوردون معظم غذائهم، لديهم النفط والغاز ويشكوا الملايين منهم من الظلام والبرد، والبعض منا يتفاخرون بأن في أوروبا اليوم عشرات الملايين من المسلمين متناسين بأن غالبيتهم العظمى هربوا من جور الحكام وفقر مجتمعاتهم وقلة فرص العمل والرزق فيها، فالدول الاسلامية هي الأقل تطوراً والأبطأ نمواً والأشد فقراً والأعلى في معدلات البطالة، وهنا أيضاً دليل على الخيبة.

إن كان معيار النجاح في السياسة ترامي أطراف امبراطوريتهم وأعداد رعيتهم فأجداد المسلمين من الأمم الناجحة، وكذلك الاغريق بقيادة الاسكندر المقدوني والمغول بأمرة جنكيز خان واوروبا تحت حكم الامبراطور نابليون وبريطانيا الاستعمارية، فبئس الرفقة، لكن المقياس الحق لنجاح النظام الاسلامي السياسي هو عدل الحكام، لذا نحن فاشلون في السياسة أيضاً، وفشلنا ذريع، فكل جيل من المسلمين إلا ما ندر كابد حكم طاغية أو طغاة، يدعون لهم بطول العمر علانية، وبالهلاك في الخفاء، وأكثر الحكومات طغياناً

وظلماً وفساداً وكبتاً للحريات في بلاد المسلمين، وأغلبهم في الوقت الحاضر محتلون أو تابعون للأجنبي، وتستعر بينهم الصراعات العرقية والمذهبية والحزبية، ومنذ نصف قرن فقط طبق البعض منهم نسخاً مشوهة للنظم البرلمانية الغربية، فشل معظمها، وسقط بعضها بانقلابات عسكرية، واقصى ما تطمح له اليوم بعض النظم السياسية قيد التكوين في عدد من الدول الإسلامية تكوين نظام برلماني غربي مقنع بشعارات إسلامية، فيما ما زال آخرون يحلمون بإحياء دولة الخلافة، في الوقت الذي يقرون بأن عدد الراشدين من بين مئات الخلفاء والسلاطين الذين حكموا بلاد المسلمين أربعة فقط، أو بالأحرى ثلاثة ونصف لأن حكم عثمان، في تقييمهم، اتصف بالرشد لنصف مدته .

عندما تكون النظم السياسية والاقتصادية والتعليمية بهذه المواصفات فلا بد أن تكون العلة في الفرد والمجتمع، فالجميع بالضرورة فاشلون.

في الصورة بقع ملون ومضيئة، ولكنهم مجرد عشرات الملايين من أصل مليار، لذا تبقى الصورة قاتمة ومحبطة.

من المسؤول عن فشل المسلمين؟ الغالبية العظمى منهم، التي احتكرت السلطة، وتحكمت بالمنافع، وفرضت فهمها للدين، واضطهدت مخالفيها في المذهب والرافضين لتسلط الحكام.

العلاج في الاسلام أيضاً، الأصل لا الصورة المشوهة، الأصل الذي أهمله السلف لأنهم لا يطيقونه، كما قالوا لأبي ذر الغفاري رضي الله عنه، قبل أن ينفوه، لا الصورة المحرفة التي اختارها أكثرهم وما زلنا ننوء بأوزارها حتى اليوم، الأصل أراد للمسلم أن يكون مؤمناً عابداً عادلاً فاضلاً متعلماً عالماً منتجاً، وأن تكون مؤسساته أصيلة ومصادر قوته ذاتية ومنابع ثقافته داخلية، أن يدرك بأن النجاح الكامل هو أن يكون فرداً متألقاً ضمن أمة مقتدرة وفعالة، يرفد بإنجازاته الفردية أمته وهي بدورها تغذي عطاءه الخاص، وان تكون هي وهو الأوائل في كل مسارات الرقي والتقدم والازدهار، آنذاك تصبح الصورة كلها لا بعضها بهيجة، ونطوي مجلدات الفشل لنفتح صفحات النجاح.

هل يقرّ غالبية المسلمين بأنهم كانوا ومازالوا وعلى مدى 1400 عاماً فاشلون وعليهم العودة للجذور ليتعلموا من جديد جوهر الإسلام؟ قبل أن يتسرعوا بالجواب ليتذكروا شهادة المسجد الأقصى المحتل على تخاذلهم، وليعلموا بأن أكبر ظلم لحق بالإسلام هو فشل غالبية المسلمين عبر الزمان والمكان.

7 كانون الأول 2011م

أحر التعازي لكل المسلمين بمناسبة العيد

جاء زاحفاً على بطنه، أسماله قذرة، وراءه خطوط دموية طويلة، دق بابنا مرة واحدة، خفنا كالعادة، فلم نفتح الباب، اكتفينا بالنظر من خلف ستارة مسدله، شاهدناه يلفظ آخر نفاسه على دكة الباب، قبل أن يوصي، ولم نقرأ له الشهادتين في أذنه.

مات العيد، ذبحاً بالسكاكين في مدينة سورية، وكمداً في المخيمات الفلسطينية[1]، وإرباً إرباً في تفجير إرهابي في بغداد، وبجرعة زائدة من المخدرات في دول الخليج، واختناقاً بقيئه في ملهى ليلي بإسطنبول، وبالسكتة القلبية في ميدان بالقاهرة، وأذاعت المحطات أخبار وفاته مباشرة بعد التهنئة بقدومه.

سيقولون صمنا ومن حقنا العيد، لا شك في صيامكم، عن شهوات الجسد، من أكل وشرب ونكاح، ذلك الصوم الهين، صوم يقدر عليه حتى الأطفال، تكملون به إسلامكم الظاهري والشكلي، تزينون به واجهات نفوسكم القبيحة، تبتغون من وراءه السمعة بين الخلق لا رضا الخالق، لئلا تكسد بضاعتكم الدنيوية أو ينتقص منكم مبغضون.

صمتم عن الماء لكنكم ملأتم بطونكم من دماء أخوتكم، امتنعتم عن الطعام لكن نهشتم لحوم بعضكم البعض، شويتم رؤوسهم، ولاكت أسنانكم قلوبهم، وأنتم بين مشارك بالفعل الشنيع أو راض عنه بالقول أو ساكت غير مستنكر، سألكم ربكم أيحب أحدكم ان يأكل لحم أخيه ميتاً، والقصد من التشبيه تعظيم خطيئة اغتياب المسلم، على افتراض أنكم أناس أسوياء مؤمنون، لا أكلة لحوم البشر، وردكم سيكون حتماً: لا، لكن جوابكم جاء مخالفاً للقرآن الكريم: نعم، ونهشتم لحوم أخوتكم، حقيقة ومجازاً، وبالفعل والقول والصمت، وحتى الأعراض المحرمة لم تسلم من فتاواكم.

ماذا قال الشجر والحجر؟ أتراه قال: يا مسلم هذا مسلم ورائي فتعال واقتله، وحتى الشجر والحجر لم يسلم منكم.

لا تقولوا العيد للصغار، فهم أيضاً احتضر عيدهم، وكيف يستشعرون فرحة العيد بعد مشاهدة مجازركم وتكبيركم على ذبح البشر والاستماع لثنائكم على القتلة؟

تدعون بانكم تعبدون الرحمن الرحيم، وقد خلت قلوبكم من الرحمة لأخوتكم، وعندما تخرج آخر ذرة رحمة من نفس إنسان يخرج معها الإيمان بالله.

لا ترمون بالمسؤولية عن جرائمكم على الشيطان، فقد تبرأ منكم ومن أمثالكم من قبل:

[فَلَمَّا تَرَاءتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لاَ تَرَوْنَ إِنِّيَ أَخَافُ اللّهَ وَاللّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ] (الأنفال: 48)، هو يخاف الله وأنتم لا تخافونه، وهو يؤمن بأن الله شديد العقاب وأنتم تستهينون بالله وتستخفون بعقابه.

بينما كنتم منهمكون بشتم وتهجير وقتل بعضكم البعض، سرق الصهاينة وأحباؤهم العيد منكم، كما نهبوا بالأمس أراضيكم، واحتفلوا بعيدكم، رقصوا في باحات المسجد الأقصى على ايقاع حشرجة ضحاياكم، ورددوا أناشيدهم التوراتية على ألحان ولولة أراملكم وصراخ أيتامكم، فترحاً لكم وتعساً لهم.

عيد بأي حزن عدت يا عيد.

9 آب 2013م

(شجرة الإسلام أصلها في السماء وفرعها في الأرض، لها ثلاثة جذور: الإحياء والإصلاح والتعلم)

معجزة الحجر الأسود والحفاظ على الأثار الإسلامية

للحجر الأسود أهمية غير خافية، في الصلاة والحج، فهو جزء لا يتجزأ من قبلة المسلمين في صلاتهم، وكل طواف في الحج يبدأ وينتهي عنده، واستلامه مستحب، وتقبيله عند الاستطاعة كذلك، وهذا تشريف ما بعده تشريف، وقد احتار البعض في كنه الحجر، فهل هو من حجارة الجنة، أم نيزك سقط من السماء، أم ماذا؟ وما علة استحقاقه لهذا التكريم؟ نقرأ بأن الخليفة الصحابي عمر بن الخطاب خاطب الحجر الأسود بعد تقبيله قائلاً: إني أقبلك واعلم أنك حجر، ولولا أني رأيت رسول الله يقبلك لم أقبلك.(رواه البخاري والترمذي).

يرى أحد الباحثين في هيئة الأعجاز العلمي للقرآن والسنة بمكة المكرمة بأن الحجر الأسود إعجاز رباني، ويستدل من أقوال للإمام الشافعي بأنه أشبه بخط هاتفي متطور، يسجل البيانات الشخصية، لكل من استلمه حاجاً أو معتمراً، وقد يكون للحجر الأسود هذه المواصفات، ولكننا عاجزون- في الوقت الحاضر على الأقل- وبمعارفنا العلمية المحدودة من التثبت من ذلك، لذا لا نستطيع ان نحاجج بذلك العلمانيين الماديين، ومن الواضح بأن امكانية خزن بيانات كبيرة على مساحة متناهية في الصغر أمر لم يتوصل إليه العلم إلا مؤخراً، وبالتالي فالمعاصرون من المسلمين وحدهم قد يدركون هذه المعجزة للحجر الأسود، ولكن هل هذه هي المعجزة الحقيقية الدائمة في الحجر الأسود؟

المعجزة في الحجر الأسود متمثلة في وجوده ومكانه، وبغض النظر عن خواصه، والدليل على ذلك تاريخ الكعبة، التي تعرضت مراراً لأنواء طبيعية وتخريب متعمد أو غير متعمد، فقد انهدمت في الجاهلية، وأغرقتها السيول، واحترقت في زمن الأمويين، بفعل منجنيق الحجاج الثقفي كما يؤكد بعض المؤرخين، أو بسبب شرارة من مجمرة كما يدعي آخرون، وحتى الحجر الأسود لم يسلم من عبث العابثين، وأعيد بناؤها أكثر من مرة في الجاهلية والإسلام،

فيروى أن عبد الله بن الزبير شيدها من جديد، وبعد مقتله هدمها الحجاج وأعادها إلى ما كانت عليه، والمرجح من ذلك بأن الأثر الظاهر الوحيد من البناء الإبراهيمي الأصلي للكعبة هو الحجر الأسود فقط، ولولاه لقيل بأن البناء الحالي هو من صنع آخر من بناه، وهنا تظهر المعجزة، فالحجر الأسود هو ذاته الذي مسته أيادي الأنبياء منذ الخليل إبراهيم وحتى خاتم الأنبياء ومن بعده آل بيته وأصحابه، وهو همزة الوصل للأمة الإسلامية في كل زمان مع ماضيها وحاضرها وكذلك مستقبلها إلى ما شاء الله، لذا فمجرد احتواء الكعبة عليه حتى يومنا هذا تصديق لرسالة الإسلام، وهو بالتالي من أعظم المعجزات، وإن غابت حقيقة ذلك عن ادراك الكثيرين من القدماء والمعاصرين.

نستدل من معجزة الحجر الأسود على أهمية الحفاظ على الأثار الإسلامية، بل وحتى بعض الأثار غير الإسلامية، كما نجد البرهان على ذلك في الآيات الكريمة التالية:

(قُلْ سِيرُواْ فِي الأَرْضِ ثُمَّ انظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ) الأنعام : 11

(أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) الروم:9

(أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً) فاطر:44

أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) يوسف:109

(أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ) المؤمن/غافر:21

(أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) المؤمن/غافر:82

(أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا) محمد:10

(فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ) النحل:36

(قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ) النمل: 69

(قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ) الروم:42

(فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُروا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ) آل عمران: 137

(فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُقِيمٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ) الحجر: 74-76

(وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ) الصافات 137-138

إن كل الآيات المتقدم ذكرها تأمر الناس بالاطلاع على اثار الأمم البائدة، التي عصت الرسالات السماوية، فكان جزاؤها التدمير والخراب، ولو عمد المسلمون الأوائل أو من جاء بعدهم إلى هذه الأثار فأزالوها ومحوها من على وجه الأرض لتعذر تنفيذ الأمر الرباني بالاطلاع على هذه الأثار والاتعاظ من مصير أقوامها، لذا كان لزاماً الحفاظ على أثار تلك الأمم الضالة، فهل من المنطقي بعد ذلك هدم أو طمس الأثار الإسلامية، مثل بيت النبي العظيم ودور أهل بيته وأصحابه وقبورهم ومنع المسلمين من زيارة مشاهد النبوة واثار الصحابة مثل غار حراء وجبل أحد والمساجد السبعة وغيرها تخوفاً من تحولها إلى مزارات تمارس فيها البدع المحرمة كما يدعي فقهاء وأتباع المذهب السلفي.

نستمد دليلاً قوياً آخر على أهمية الحفاظ على الأثار الإسلامية، بما في ذلك الرسائل المخطوطة والمساكن والأضرحة، مما حاق بالديانة المسيحية، فمن

الملاحظ بأن أبرز الحجج التي يتذرع بها المشككون بوجود النبي عيسى المسيح عليه السلام ورسالته هو عدم توفر أدلة أثرية archeological evidence تؤكد ذلك، لذا يمكن القول بان محو الآثار الإسلامية أو التسبب بذلك بفعل الإهمال يعرض الإسلام في المستقبل للتشكيك في وجود رموزه وتاريخه، فهل يجوز لمسلم فعل ذلك مهما كانت حججه ومبرراته؟

وختاماً ألا يشعر السلفية بالحرج لأن موقفهم من الآثار الإسلامية مطابق تماماً لموقف الصهاينة؟ ففي الوقت الذي ينهمك السلفية في هدم وازالة الآثار الإسلامية في السعودية وبعض الدول الإسلامية يستمر الصهاينة في فلسطين المحتلة في زعزعة أركان المسجد الأقصى وتدمير غيره من المشاهد الإسلامية بهدف محو الهوية الإسلامية لفلسطين المحتلة.

11 اب 2009م

السيرة النبوية المهملة: خذلان المسلمين الأوائل للرسول الأعظم في شعب أبي طالب

عندما يستلون من التاريخ كما دونوه سكاكين، ويشحذونها على رمال التراث المتحركة، يحاصر تاريخهم حاضرنا، ويجبرنا على زيارة التاريخ، بحثاً فيه عن فصول مهملة وأحداث متروكة وفراغات مشبوهة، عن تغافل مقصود لا غفلة من دون تعمد، هم وحدهم البادئون والظالمون والأظلمون.

تشير المصادر التاريخية المعتمدة لدى مذهب أهل السنة والجماعة إلى جملة من الوقائع التي سبقت الحصار في شعب أبي طالب. في السنة السادسة من المبعث اسلم عمر بن الخطاب (مصدر: محمد بن عبد الوهاب مختصر سيرة الرسول، نسخة إلكترونية، ص 94)، وكان من قبل إسلامه معادياً للدين الجديد، ومشاركاً في اضطهاد وتعذيب أتباعه، وقصة إسلامه كما ترويها هذه المصادر معروفة، إذ ما أن تحول من كافر معاند إلى مسلم متحمس وفي أقل من يوم حتى دعا الرسول الأعظم وأتباعه للمجاهرة بدينهم، وتصدر المسلمين في مسيرة طافت بالكعبة، ثم جال على كبار كفار قريش ليخبرهم بذلك متباهياً ومتحدياً كما يروون.

في السنة السابعة من مبعث الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم تعاهد قادة كفار قريش على مقاطعة بني هاشم وبني المطلب وبني عبد مناف، واتفقوا على الامتناع عن مبايعتهم ومناكحتهم ومكالمتهم ومجالستهم، حتى يسلموا لهم الرسول ليقتلوه، ودونوا ذلك في صحيفة علقوها في الكعبة.

كان حصاراً سياسياً واجتماعياً واقتصادياً ومكانياً، اضطر الرسول الأعظم وأهل بيته واقاربه إلى الخروج من مكة إلى شعب أبي طالب.

اسوء ما في الحصار التجويع، فقد عمد كفار قريش لمنع وصول المواد الغذائية للمحاصرين في الشعب، حتى اضطروا للتقوت بأوراق الشجر والجلود، وسمعت من خارج الشعب أصوات استغاثة النسوة والأطفال من شدة الجوع.

ماذا فعل الصحابة الأوائل؟ الكثير من المسلمين الأوائل مستضعفون، من العبيد والفقراء، فلا يتوقع منهم فعل أي شيء لمساعدة الرسول وأهل بيته المحاصرين في الشعب، كما أن بعض المسلمين هاجروا إلى الحبشة، لكن بقية الصحابة ومنهم كبارها الذين تولوا فيما بعد قيادة المسلمين، وبالتحديد عمر بن الخطاب وابي بكر بن أبي قحافة لم يهاجرا ولا يعدان من جملة المستضعفين.

استمر الحصار التجويعي الظالم ثلاث سنوات، لم تسجل المصادر التاريخية فيها أي مساعدة من المسلمين الأوائل للرسول وأهل بيته وأقاربه، كان من المحتمل جداً أن يتوفى الرسول بسبب الحصار كما توفي عمه ابو طالب وزوجه الصديقة الكبرى خديجة، لكن ذلك لم يكن كافياً ليحاول هؤلاء المسلمون الأوائل الذين يشهد أنصارهم لهم بالشجاعة والجرأة كسر الحصار أو حتى الالتفات عليه.

ثلاث سنوات كانت فيها حياة الرسول مهددة، وخاف عمه أبو طالب عليه من القتل، فكان يتوقى ذلك بتغيير مضجع الرسول، ومع ذلك لم يتطوع أحد من هؤلاء المسلمين الأوائل للدخول مع الرسول وأقاربه في الشعب، تعبيراً عن التعاطف والتآزر معهم، ولو حدث ذلك لربما أعادت قريش النظر في المقاطعة.

ثلاث سنوات من الحصار انقطعت فيه الصلة بين الرسول الأعظم والمسلمين الأوائل فلم يشتاقوا خلالها لرؤيته والاستماع لهديه واخذ الأحاديث الشريفة من لدنه، واقتصر المستفيدون من هدي الرسول في تلك السنوات الثلاث على ابن عمه علي بن أبي طالب وبقية المؤمنين من أهل بيته، وهذه

ميزة عظيمة للإمام ينفرد بها من دون جميع المسلمين الأوائل، ولكنهم عند تدوين السيرة والأحاديث أهملوها.

لم يخرق المسلمون الأوائل الحصار، بالرغم من كل ما يروى عن شجاعتهم وبذلهم المال في سبيل العقيدة، فانبرى لذلك اقارب زوج النبي الصديقة خديجة بنت خويلد، وتروي مصادر التاريخ بأن ابن اخيها كان ينقل الطعام للمحاصرين تحت جنح الظلام.

قبيل انقضاء سنوات الحصار الثلاث بادر خمسة من قريش للاحتجاج على الصحيفة ودعوا إلى انهاء المقاطعة، وكلهم كانوا من كفار قريش، ولم يكن أحد منهم من بني هاشم، تصادف ذلك مع إرادة ربانية سلطت الأرضة على الصحيفة فأكلتها باستثناء عبارة باسمك اللهم، فانتهى الحصار.

إذا كان اعتراض خمسة من الكفار على المقاطعة لدوافع قبلية وإنسانية كافياً لإلغاء المقاطعة فلماذا أحجم الصحابة الأوائل وهم لا يقلون مكانة وجاهةً بين قريش عن ذلك أو على الأقل يتضامنون مع الخمسة؟

كانت كلفة الحصار باهظة جداً بالنسبة للرسول والرسالة، ضياع ثلاث سنوات من عمر الدعوة، ووفاة حامي وسند الرسول عمه أبي طالب وزوجته الصديقة الكبرى خديجة رضي الله عنهما.

الحقيقة التاريخية الناصعة هي أن بعض المسلمين الأوائل خذلوا الرسول الأعظم وأهل بيته ثلاث سنوات وتركوهم عرضة للمجاعة والهلاك ولم يقدموا أي عون لهم.

15 اب 2012م

الأزعر والأمة

الأزعر في القاموس سيء الخلق، وجمعه الصحيح زعر لا زعران، وللزعرنة تاريخ طويل، يبدأ مع قتل قابيل أخيه هابيل، ولا ينتهي عند زمننا الحاضر، وكان للأمتين العربية والإسلامية نصيبهما الوافر منها.

قادة اليوم هم زعر الأمس، وقد يكون زعر اليوم قادة الغد، فرضية تاريخية، تستحق الدراسة، نبلاء القرون الوسطى في أوروبا كانوا من قبل الزعر الذين اعتمد عليهم الملوك والأمراء في تكوين وحماية دولهم وإماراتهم، فأثابوهم بالألقاب والإقطاعيات، وفي اليابان تحول الساموراي الزعر من مقاتلين مطيعين لسادتهم إلى أصحاب سلطة ونفوذ فيما بعد، وفي أمريكا نجح الزعر الذين حاربوا سكان القارة الأصليين واستولوا على أراضي صغار المزارعين ومربي المواشي وسيطروا على المناجم في تكوين ثروات كبرى واكتساب مكانة اجتماعية مرموقة ونفوذاً سياسياً كبيراً، ولو تمعنا في تاريخ المجتمعات البشرية لوجدنا أمثلة كثيرة على ظاهرة الزعر وأدوار نشوئها وتطورها.

يخبرنا القرآن الكريم عن معاناة نبي العرب الأقدم صالح من سلوك الزعر من قومه، وكان من بينهم من وصفه القرآن الكريم بالأشقى: [كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا] (الشمس:12)، والشقي هو الضال أو التعس، وفي لغة العرب المعاصرين هو الخارج على القانون، فهو والأزعر سواء.

ولم يكن هذا الشقي الذي عقر الناقة الأزعر الوحيد في قوم ثمود فقد كان له رفقاء في الزعرنة والافساد: [وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ] (النمل:48-49).

للأزعر دور بارز في تاريخ العرب ما بين فناء ثمود بالغضب الرباني ونبوءة رسولنا الأعظم، إذ اعتمدت عليهم القبائل العربية في نزاعاتها، وهم بطبيعتهم أكثر الناس استعداداً لممارسة السلوكيات العدائية، من ظلم وغزو

ونهب وسبي واستعباد ووأد للبنات، وكانت قيم الأزعر السائدة بين الأعراب، وعندما تطرف البعض منهم في الزعرنة والعدوان حكم عليه بالطرد من القبيلة، وهؤلاء هم الصعاليك.

استعان سادة قريش وأكبرهم أبو سفيان بالزعر في محاولتهم القضاء على الدعوة الإسلامية، وكان من أبرز هؤلاء الزعر أبو جهل عمرو بن هشام، وكان أشقاهم إذ حاول قتل الرسول الأعظم بنفسه لكنه فشل فاقترح على المشركين خطة لاغتيال نبي الإسلام يشارك بها أزعر من كل قبيلة، وكان مصيرها الخيبة أيضاً، ولم تكن الزعرنة حصراً على الذكور من المشركين، ونجد مثالاً على ذلك في سلوك هند بنت عتبة زوجة أبي سفيان، في تحريضها للعبد الأزعر وحشي على قتل حمزة عم النبي وفي شقها لبطنه وانتزاع كبده ومضغها، وهو من أبشع سلوكيات الزعرنة.

اعتمد خلفاء المسلمين ومنذ تأسيس العهد الأموي على الزعر في الدفاع عن سلطانهم والتخلص من معارضيهم، وفي العهد العباسي انتشرت ظاهرة الزعران في بغداد، وهم العيارون والشطار، الذين احترفوا اللصوصية والاحتيال، واستعان بهم الأمين بن الرشيد في قتال أخيه المأمون، وبدأ تدهور الحكم العباسي مع اعتمادهم على الزعر الأتراك لحمايتهم، فلم يمر وقت طويل حتى تسلطوا عليهم، وصار هؤلاء الزعر يخلعون الخلفاء أو يغتالونهم ويعينون بدائلهم.

برز الزعر في العهد العثماني، والإنكشارية الذين حموا الخلافة كانوا من الزعر، وهم ترعرعوا على احتراف القتل والقسوة والفظاظة، واشتهروا باقتراف المجازر والتعذيب الوحشي للأسرى والتمثيل بجثث القتلى، حتى اصبحوا عبئاً على حكم بني عثمان فعمدوا للتنكيل بهم، وكان لكل والي عثماني مجموعة من الزعر أو القبضايات يستعملهم في ترهيب السكان في ولايته وقتل مناوئيه.

انقضى حكم العثمانيين، وانتهت عهود الاحتلال الأجنبي لكن بقي الزعر، لأنهم يجسدون قيماً ثابتة في مجتمعاتنا، التي تمجد القوة في مختلف

صورها، وهي في عرف العرب أعلى وأسمى القيم، فهم غالباً يخافون القوي ويقدمون له فروض الولاء والطاعة، ولو تعسف في معاملتهم فقد يحقدون عليه سراً، لكنهم وبصورة عامة يحسدونه ويتمنون لو كانوا مكانه، لذلك تسلط عليهم الطغاة، الذين استعملوا القوة وسيلة أساسية في الوثوب على السلطة والاحتفاظ بها، واكتسب الحكام الزعر شرعية الأمر الواقع من الفقهاء الذين أفتوا لأتباعهم بوجوب طاعة الحاكم ولو وثب على الحكم بالسيف وسامهم الخسف والهوان.

الزعر هم أحد أركان النظم العربية الطاغوتية، ويفضلهم الطغاة لأنهم مرتزقة، ينفذون من دون اعتراض أو نقاش، مقابل ثمن معلوم، من مال أو نفوذ، وتزخر أجهزة المخابرات والأمن العربية بالزعر، وهم متواجدون أيضاً في كافة مؤسسات مجتمعاتنا، ولا تخلوا منهم الجامعات والمؤسسات الدينية والأحزاب السياسية، وهؤلاء الزعر من الأكاديميين ورجال الدين والحزبيين ادركوا أن القوة البدنية ومهارات القتال لم تعد كافية أو مناسبة للحصول على القوة والمنصب والتسلط على الآخرين، لذلك سعوا إلى اكتساب مهارات أخرى ذات قيمة، مثل الشهادات الجامعية والإجازات الفقهية والمهارات الإدارية والتنظيمية وغيرها، وهم يستعملونها كوسائل وأدوات لكي يبلغوا هدفهم الأعلى في الوصول إلى قمة الهرم في الجامعة أو المذهب أو الحزب أو المؤسسة، وكل الوسائل مبررة في عرفهم، وهم أكثر حرصاً من الزعر السابقين في اخفاء زعرنتهم تحت قناع من التحضر والعقلانية، ولكنهم سرعان ما يتخلوا عن هذه الأقنعة ليكشروا عن أنيابهم ويبرزوا مخالبهم بوجه أي تهديد لمناصبهم وسلطاتهم.

لا يقتصر تأثير القيم السائدة على سلوك العرب الذكور بل تتعداهم إلى كافة أفراد المجتمع من النساء وحتى الأطفال، وقد تتسلط المرأة على زوجها أو أبناءها لكي تشبع نزعة التسلط والزعرنة، وتستعمل في سبيل ذلك المكر ولسانها السليط، والأطفال الزعر هم الأشقياء الذين يضطهدون أقرانهم في المدرسة والشارع، وقد تظهر لديهم هذه النزعة في سن مبكرة، نتيجة التربية العائلية وعوامل البيئة الاجتماعية الأخرى.

ما دام المسلمون والعرب يضعون القوة فوق كل القيم فلن تختفي ظاهرة الزعرنة، وستبقى المجتمعات والمؤسسات تحت سيطرتهم، وعندما تسود اعتبارات القوة سلوكنا وتنفذ إلى داخل بيوتنا فلابد أن تتأثر بها سلباً علاقاتنا مع الاخرين، فلا نتعجب من تعسف الزوج مع زوجته والأب مع أبناءه والجار مع جاره والمدير مع مرؤوسيه، وقد يكون ذلك أحد الأسباب الرئيسية لتخلف دولنا ومجتمعاتنا واضطرابها وتقاتل جماعاتها وقلة إنتاجها وتدني إبداعها.

سيصحوا المسلمون من سبات القرون، ويزهر ربيع العرب الحقيقي، وتختفي الزعرنة من بينهم عندما ينبذون عبادة القوة ويستبدلونها بقيم الإحياء والإصلاح والتعلم والتعاون.

5 تشرين الثاني 2013م

(للإسلام غايتان عظمتان هما الإحياء والاصلاح، ووسيلة كبرى وهي التعلم)

الأمتان الإسلامية والعربية بحاجة ماسة للمزيد من المصحات العقلية

من أقوال الفيلسوف فردريك نتشة: الجنون بين الأفراد استثناء نادر لكن في الجماعات والأحزاب والأمم والعصور هو القاعدة.

لو اعتبرنا الحرب دليلاً على جنون البشر فيمكن الاتفاق مع ملاحظة نتشة بخصوص جنون الأمم والدول، فما تاريخ البشرية سوى سجل لحروبها المتواصلة، والأفراد يصابون بالجنون أيضاً فيقدمون على القتل والمجازر البشرية، ويؤكد المختصون في الصحة العقلية بأن المصابين بمرض الشيزوفرانيا أو الفصام لديهم استعداد مضاعف لممارسة العنف من غيرهم، كما أن نزعتهم للقتل تبلغ عشرين مرة أعلى من الأسوياء، وتقدر نسبة القتلى على أيدي الفاقدين لعقولهم 5 إلى 10 بالمئة من مجموع ضحايا جرائم القتل، والأخطر من ذلك هو أن نسبة أعلى بكثير من حالات القتل الجماعي أو المجازر والإبادة الجماعية تقترف من قبل معتوهين.

في عام 1999م درس همبل وعدد من الباحثين في جامعة شمال تكساس ثلاثين حالة قتل جماعي في أمريكا وكندا في الفترة ما بين 1949م و1998م وتبين من نتائجها بأن 20 من مرتكبيها أي ثلثي الجرائم من فعل مصابين باضطرابات عقلية مثل الشيزوفرانيا والاكتئاب الخطير، و15 منهم قضوا فترات زمنية في مصحات عقلية أو ترددوا على عيادات مختصين بالأمراض العقلية

وجاءت نتائج مسح لجريدة نيويورك تايمز في عام 2000م لتؤكد وجود صلة قوية بين الاضطراب العقلي واقتراف الجرائم الجماعية أيضاً، وشمل المسح 100 حالة قتل جماعي بين عامي 1949م و1999م، وأظهرت النتائج أن ما يزيد على نصف القتلة مصابون بأمراض عقلية خطيرة، وكان غالبيتهم يعانون من الشيزوفرانيا.

الإحصائيات المتوفرة حول عدد ونسب المصابين باضطرابات عقلية مذهلة ومخيفة، إذ تقدر بعض المصادر بأن ربع الأمريكيين يعانون من أمراض عقلية، ووفقاً للأرقام التي تنشرها منظمة الصحة العالمية فإن عدد المرضى المصابين بأمراض عقلية في العالم 450 مليوناً، كما أن واحدة من كل أربع عائلات تضم فرداً يشكو من مرض عقلي.

يمكن السيطرة على الأمراض العقلية بالعلاج المناسب، لكنه غير متوفر لكافة المحتاجين وخاصة في الدول الأقل نمواً، ومنها الدول العربية والإسلامية، فالطاقات الاستيعابية في المستشفيات والعيادات الحكومية محدودة وكلفة العلاج في المصحات الخاصة باهظة، كما تعتمد فاعلية العلاج على توفر الدعم المعنوي من البيئة الاجتماعية والثقافية، وللعائلة دور هام في ذلك، وكثيراً ما تتولى العائلة في المجتمعات العربية والإسلامية العبء الأكبر في العناية بأفرادها الذين يعانون من اضطرابات عقلية ونفسية.

المعلومات عن أعداد المصابين بعلل عقلية ونفسية في العالمين العربي والإسلامي قليلة وغير مكتملة، لكن المتوفر منها مثير للاهتمام، ففي السعودية مثلاً قدرت ملاك المليك المختصة في الصحة العقلية والنفسية لقناة العربية عدد المرضى في مجال تخصها بحوالي نصف سكان المملكة، مما يشير إلى وجود تحديات كبرى في البيئة الاجتماعية وظروف الحياة في السعودية ودول عربية وإسلامية أخرى تشترك معها في إرثها الثقافي والحضاري والظروف الاجتماعية، إذ يرى المختصون الذين يعزون الأمراض النفسية والعقلية لأسباب اجتماعية أن الفرد غير القادر على التعامل مع الضغوط الاجتماعية يلجأ لاصطناع دفاعات فكرية تؤدي به إلى المرض العقلي أو النفسي.

تشهد معظم البلدان العربية والإسلامية حالات قتل جماعي يومي وعلى مدى السنوات القليلة الماضية، وهي في ازدياد مضطرد، وغالبية مقترفي هذه الجرائم الإرهابية هم عرب ومسلمون يعتقدون بأنهم يطبقون فهمهم لأحكام الإسلام، واستناداً إلى نتائج البحوث والدراسات حول وجود ارتباط بين

القتل الجماعي والجنون يمكن الاستنتاج ولو بصورة مبدئية بأن مقترفي هذه الأعمال الإرهابية المنطوية على قتل جماعي مصابون بلوثات عقلية خطيرة مثل الشيزوفرانيا، اجتذبتهم الدعوة السلفية التكفيرية لإباحتها القتل الجماعي واقتراف المجازر بغير المسلمين ومن يخالفها في فهم الدين ولا يذعن لسيطرتها، فهم مصابون بلوثات عقلية غير معالجة قبل انضمامهم للحركات التكفيرية، وتدينهم هو مجرد غطاء أو ذريعة لممارسة القتل الجماعي.

أخطأت يا أردوغان وأصاب أورتيغا

صرح رجب طيب أردوغان رئيس وزراء تركيا بأن الكيان الصهيوني يغامر بخسارة صديقه الوحيد في منطقة الشرق الأوسط - ويقصد بالطبع دولته تركيا- لو لم يعتذر هذا الكيان عن هجومه على قافلة الانقاذ لغزة في عرض البحر وقتله عدد من المواطنين الأتراك المشاركين في القافلة، وللتذكير فإن أردوغان يحظى بشعبية واسعة بين أوساط العرب والمسلمين نتيجة مواقفه "القوية" تجاه الكيان الصهيوني، والكثير من هؤلاء المعجبين يتمنون أن يتحلى حكامهم العرب والمسلمين ولو بالنزر اليسير من "بطولة" و"رجولة" أردوغان، وقد تناسى هؤلاء إن سقف الموقف من القضية الفلسطينية والكيان الصهيوني والاستعمار الأمريكي تحدده تضحيات واستعدادات ومواقف حزب الله على جبهة المواجهة وإيران الإسلامية، وهي الدولة الوحيدة الداعمة لتحرير الأرض الفلسطينية المحتلة، وبالمقارنة بهذا المعيار فإن مواقف تركيا ورئيس وزرائها تبدوا قاصرة جداً.

أخطا أردوغان عندما نسب إلى بلده صفة "الصديق الوحيد المتبقي للكيان الصهيوني" فهذه مسبة بل أقذع الشتائم والمسبات لدولته وحكومته، ولكنه أعاد للأذهان الحقائق التي غابت عن عقول السذج الذين ما زالوا يبحثون بين أنقاض دولة بني عثمان وحطام ما يسمى زوراً وبهتاناً بالخلافة الإسلامية عن شذرات موقف "إسلامي" مبدئي يفاخرون به.

كما أخطأ أردوغان لأن بلاده ليست الصديق الوحيد للكيان الصهيوني بل كل حكومات الدول العربية فيما عدا لبنان وبفضل مشاركة حزب الله وحركة أمل فيها وسوريا، والدول الإسلامية هي كذلك أما صديقة للكيان الغاصب أو لا مبالية ما عدا إيران الإسلامية، فهل يستطيع عاقل مطلع الادعاء بأن مصر التي تساعد الصهاينة في فرض الحصار على غزة أو الأردن أو السعودية أو دول الخليج أو المغرب أعداء للكيان الصهيوني؟ وكل دولة

عربية تدين بالولاء للهيمنة الأمريكية هي بالضرورة وبطريقة مباشرة أو غير مباشرة صديقة، إن لم تكن حليفة، للكيان الصهيوني.

أخطا أردوغان لأنه لم يلغي اتفاقات بلاده العسكرية مع الكيان الصهيوني، عدو العرب والمسلمين، واخطأ لآنه لم يقطع علاقات بلاده الدبلوماسية مع هذا الكيان.

أما أورتيغا رئيس نيكاراغوا فقد أصاب بقراره الشجاع والمبدئي بقطع علاقات حكومته الدبلوماسية مع الكيان الصهيوني، ويا ليت أردوغان وشلته من الحكام العرب والمسلمين يتأسون به وبالزعيم الفنزويلي البطل شافيز الذي دعا لمحاكمة أركان الكيان الصهيوني.

2 حزيران 2010م

لماذا أرسلوا حفنة من تراب البحرين إلى نيويورك؟

حفنة من تراب وطنهم، يقتنيها الوطنيون في المنافي، لم تفارق شوبان، الموسيقار البولندي الشهير في منفاه، وكل مباهج باريس في القرن التاسع عشر لم تنسه حنينه لوطنه، ولولا ذلك الحنين وحفنة تراب الوطن لربما لم تقدح عبقريته بمقطوعته الرائعة البولونيز.

حفنة من تراب البحرين في نيويورك، ليست لمنفي، ولم تتخللها اصابع تحن للوطن، ولم تلهم عبقرياً، قبل أن تنطمس الآثار في التراب لنتعقب القصة من بدايتها.

هو ثري إلى حد الفحش، والأقوال تتضارب في أصل عائلته، والمؤكد هو أن أجداده قدموا بعد الغزاة من آل خليفة، وبلقب مختلف، ولمقتضيات تضييع الأصل اختار جدهم اسماً آخر، أيسر على النطق، وأقرب للبيئة المحلية، وهو بالطبع على مذهب آل خليفة وموضع ثقتهم وإلا لما اختاروه عضواً في مجلس الشورى.

هي ثرية ايضاً، أصلها من السعودية، لكن من الخضريين لا الشيوخ الأصيلين، كان والدها يمتلك من الأرض والمباني في البحرين ما يكفي لسكنى الآلاف من البحارنة الأقحاح، الذين لا سكن صحي ولا وظيفة لهم، ومن ضمن ما خلفه أبوها مجموعة من تماثيل وتحف عاجية اشتراها بمليون دولار، فصارت غرفة الاستقبال في منزله المطل على البحر أشبه بمقبرة للفيلة.

" كل الربع يسوونها"، كان تبريره عندما واجهته زوجته بخيانته لها، مع أكثر من واحدة، منهن من لا نريد ذكر اسم عائلتها، إذ يكفيهم عاراً وشناراً ما فعلوه في البحرين، والمهم بأنها غضبت وهاجت وكادت أن تطلب الطلاق، ثم هدأت سورة غضبها، بعد أن تذكرت ثروته الكبيرة، فقررت البقاء معه على مضض.

بيد أن الثروة مهما عظمت لا تبلسم جراح النفس، وخاصة جرح زوجة مخلصة، ادار زوجها له ظهره من أجل ساقطات، لذا أصبحت حياتها مثقلة بعقد النقص والاضطراب والدونية.

ادركت جيداً بأن أطباء النفس لا يمتلكون علاجاً ناجعاً لوجع قلبها فتحول اهتمامها لمعالجة كبرياءها الجريحة بالجراحة التجميلية، فلم تترك عضواً مرئياً، وبعضها غير مرئي، إلا وأخضعته لمبضع جراحي التجميل في فرنسا وبريطانيا ولبنان، من شفط الدهون لشد الوجه وتجميل العنق واصلاح الصدر وغيرها.

عادت للتدخين غير عابئة بمضاره لأنه يفقدها شهيتها فلا تسمن.

لا عزاء في الأبناء، فهم اصلاً للمربيات الأجنبيات، وهكذا حال معظم أبناء الأثرياء الخليجيين المترفين، هم أشبه بالمعروضات في واجهة العائلة الزجاجية.

يسيطر اليأس عندما تكون النفس ضالة من دون هدي ولا عقل، واليأس والإحباط أقصر السبل للهلاك أو السقوط في الخرافة، وهنا يأتي دور نيويورك.

كل أنواع الاحتيال رائجة بين الخليجيين، وما أكثر ضحايا المحتالين والمشعوذين بين سكان الخليج، إن لم يجد الخليجيون ضالتهم من المشعوذين في بلادهم بحثوا عنها في بلاد أخرى، حتى في نيويورك وجدت الزوجة البحرينية – السعودية مشعوذة فذهبت لزيارتها، لم تسمع من المشعوذة الأمريكية جديداً، كل مصائبها بما فيها خيانة زوجها نتيجة عين حسود، ولكن العلاج السحري كان مختلفاً، طلبت منها المشعوذة حفنة من تراب بيتها أو حديقتها، لتقرأ عليها تعويذة خاصة بإبطال تأثير الحسد، وصدقتها المرأة، واخبرت زوجها بذلك، لم يسخر منها، ولم يحاججها، ولكنه احتار في تلبية الطلب، هما في نيويورك والتراب في البحرين، وايصال التراب ممكن وهين، حفنة من تراب في ظرف مغلق بإحكام، ويرسل بالبريد الخاص المستعجل، والكلفة ليست مهمة، ولكن ماذا سيقول لمن سيطلب منه القيام

بذلك؟ وأخيراً اهتدى للجواب، أو الكذبة: "سأقول لهم نحن بحاجة لعينة من تراب الحديقة لإجراء تحليلات كيماوية عليها!"

في المستقبل عندما تسمعون تبريراً عقلانياً وعلمياً تحروا ألا يكون مجرد غطاء مموه لشعوذة، هكذا هو حال العرب، بالأمس واليوم، وخاصة أصحاب النفوذ والثروة، فهم باستطاعتهم بوسائل إعلامهم وأموالهم طمس الحقائق الناصعة واحلال الأكاذيب والدجل محلها.

المهم وصلت حفنة التراب من البحرين بعد أيام، وسلمت للمشعوذة لتكمل عمل السحر عليها، وعادت السيدة المفجوعة وزوجها إلى البحرين.

إن كنتم تتساءلون إن كان للسحر مفعول، فالجواب هو بالنفي، لأن كل سحر المشعوذين لا يجبر انكسار كبرياء زوجة، فضل زوجها عليها الساقطات، لكن مغامراته النسائية انتهت لا بفعل السحر ولا التوبة وإنما نتيجة ذبحة صدرية وأوامر الأطباء.

هؤلاء هم أثرياء البحرين، نازحون لا أصليون، أنصار آل خليفة لا أهل البحرين، أصحاب الثروات والنفوذ، فاسدون لا مصلحون، مؤمنون بالشعوذة لا الدين، هؤلاء هم الذين جاء جيش الوهابية لنصرتهم، وبعد أليس من حق البحرينيين الثورة على آل خليفة وصنائعهم والاطاحة بهم؟ نعم وذلك واجبهم الديني والوطني والإنساني.

25 حزيران 2011م

الأعراب بين جرة الزيت وبراميل النفط

الأعرابي وجرة زيت، حكاية قصيرة للصغار، علق الأعرابي أول جرة زيت في خيمته، وجلس تحتها يحلم، واحلام اليقظة رخيصة، لا تستهلك سوى القليل من الوقت والجهد الدماغي، بالحلم تكاثرت نعاجه، وتحولت خيمته إلى قصر منيف، وصار له أجراء ينفذون أوامره، ولا يكتمل حلم الأعرابي من دون ولد أو أكثر، يرثون ثروته ويتباهى بهم ويقدمون له فروض الطاعة والاحترام، وإن لم يفعلوا ضربهم بعصاه، وهي التي يهش بها على غنمه وله بها مآرب أخرى، لكن عصاه أصابت الجرة فانكسرت وساح منها الزيت وتبددت أحلام الأعرابي.

هل تعلم العرب من هذه الحكاية حكمة حسن التصرف والتدبير؟

العرب اليوم أحسن حظاً من أعرابي الحكاية، بفارق كبير، غالبيتهم اغناهم الله عن الرعي، وبدلاً من جرة زيت واحدة رزقهم بمليارات البراميل من النفط، ومن دون عناء، وها قد مضى نصف قرن على استخراج نفط العرب، وما جنوه منها يعد بالتريليونات من الدولارات، ولكن النفط مورد ناضب، وسيأتي اليوم الذي سيستخرج فيه آخر برميل أو شحنة غاز من الدول العربية، وقد يكون هذا اليوم بعيداً في حسابات بعض الحكومات العربية الحريصة على تبديد مخاوف شعوبها، لذا يلاحظ بأن تقديراتها لاحتياطاتها تزداد عاماً بعد عام، ولكن يرى بعض الخبراء بأن المتبقي من هذا المورد قد لا يدوم لأكثر من نصف قرن آخر، أي أن النفط العربي قد بلغ منتصف عمره، في حساب السنين لا الكميات، ومن غير المعروف إن كان سعره سيبقى عند مستواه المرتفع حالياً أم يتجه للانخفاض، كما لا يستبعد اكتشاف مصادر جديدة للطاقة تقلل من اعتماد دول العالم على النفط.

لعل أفضل قياس لاستفادة الدول العرية النفطية من هذا المورد الثمين هو مدى نجاحها في تقليل اعتمادها عليه، وهو مؤشر ذو دلائل إيجابية

متعددة، أولها أن قيادات هذه الدول ونخبها الإدارية والاستثمارية واعية لحقيقة كون هذا المورد ناضب مهما بلغت تقديرات احتياطاتها منه، كما يدل على نجاحها في استثمار عوائده في تحقيق التنوع الاقتصادي المرغوب والتنمية الاقتصادية المستدامة وبالتالي إيجاد موارد مالية بديلة للصرف منها على أوجه النفقات الحكومية والاستثمار، لذلك يمكن اعتبار هذا المؤشر بحد ذاته ولأغراض هذا المقال المحدودة كافياً للحكم على مدى نجاح الدول العربية النفطية في الاستفادة من هذا المورد للمديين القصير والطويل في نفس الوقت.

المملكة العربية السعودية أكبر منتج ومصدر للنفط ولديها أعلى احتياطي منه في العالم، ولكن صورة المملكة الاقتصادية قاتمة كما وصفها أحد أفراد السعودية الحاكمة، إذ صدر عن الوليد بن طلال بن عبد العزيز آل سعود قبل أقل من شهر تحذيراً من مغبة استمرار اتكال السعودية شبه الكامل على عوائد النفط، وأشار إلى أن 92 بالمائة من واردات الميزانية الجديدة تأتي من هذه العوائد، واستنتج بأن الخطة الاقتصادية الأخيرة قد فشلت في تحقيق أحد أهدافها الرئيسية، وفي الوقت الذي بلغت احتياطيات المملكة الاقتصادية مستويات غير مسبوقة ما زال أكثر من نصف مليون شاب سعودي (12 بالمائة) على أقل تقدير من دون عمل، كما أن الملايين من السعوديين يقبضون إعانات شهرية من الحكومة السعودية لمساعدتهم في توفير احتياجاتهم المعيشية الأساسية، ويشكل السعوديون الذين لا يمتلكون بيوتاً خاصة بهم أكثرية السكان، وستواجه الحكومة السعودية تحديات أصعب في المرحلة القادمة، نتيجة تنامي عدد السكان وارتفاع مستويات التوقعات والحاجة لإيجاد وظائف جديدة، وقياساً على الأداء الحكومي منذ منتصف القرن الماضي حتى اليوم فإن الوضع يبعث على التشاؤم، مما سيهدد الاستقرار السياسي والاجتماعي للمملكة، وبالتالي يضع ضغوطاً أكبر على أوضاعها الاقتصادية.

عند ذكر العراق اليوم يرد إلى الذهن الرقم التالي: سبعة ألاف ومئة وأربع وخمسين، ليس هذا معدل الدخل الفردي، بل هو عدد ضحايا الإرهاب في

العام المنصرم، أما الدخل الفردي فهو أقل من ذلك بكثير، ولا أظن أن هناك حاجة للاستشهاد بمؤشرات لكي نحصل على صورة دقيقة لأحوال العراق، باختصار فإن معظم عوائد النفط منذ نهاية الحرب العالمية الثانية بددتها الحكومات العراقية المتعاقبة، وبالذات الحكومة البعثية التي حكمت العراق لمعظم تلك الفترة الزمنية، ويواجه النظام الحالي قائمة طويلة من المشكلات المستعصية في مقدمتها الإرهاب المستديم والفساد المستشري وتبديد العوائد النفطية ونقص الخدمات المزمن والبطالة والفقر، لكن يبدو هذا النظام بطيئاً أو حتى مشلولاً نتيجة المحاصصة الطائفية والقومية والفدرالية التقسيمية والتوافق المستعصي، ويحظى الإرهاب والخلافات السياسية والتحريض الطائفي والتنافس الحزبي بالحصة الأكبر من وقت الساسة ويدفع بالتنمية إلى أدنى قائمة اهتماماتهم، وتبقى العواد النفطية المتصاعدة مجرد علاج أعراض مؤقت لمشكلات العراق وشعبه، فهي المصدر الرئيسي لتمويل النفقات الحكومية والتي يذهب معظمها لدفع رواتب الموظفين والمتقاعدين، ولكل هذه الأسباب فإن الخمسين سنة القادمة قد لن تكون أفضل بكثير من المنصرمة، ولكن من المحتمل أن تكون أسوء بكثير لو تدهور الوضع في العراق إلى الحرب الأهلية والتقسيم إلى دويلات غير مستقرة ومتصارعة.

بعد عامين تقريباً على سقوط نظام القذافي يبقى الوضع في ليبيا مضطرباً، إذ ترفض المليشيات التخلي عن أسلحتها والانخراط في العملية السياسية السلمية، كما ظهرت بوادر تصدع في كيان الدولة، وقويت الولاءات القبلية والمناطقية على حساب الانتماء الوطني، وفقدت الحكومة المركزية سيطرتها على جزء كبير من الصادرات النفطية التي توفر 80 % بالمئة من التمويل لنفقاتها ومشاريعها، والحاجة ماسة لهذه العوائد لإعادة إعمار ما هدمته حرب إسقاط نظام القذافي والبدء بتنمية شاملة ومستديمة لتنويع مصادر الدخل الحكومي وحل مشكلة البطالة والتي تقدر بـ 20 إلى 30 بالمئة.

البطالة مستشرية في الجزائر أيضاً، وكل عوائدها من النفط والغاز لم تنجح في تخفيض نسبتها المرتفعة (حوالي 20 بالمئة) وأغلب العاطلين من الشباب، وكما في بقية الدول العربية النفطية تتقدم أزمة السكن قائمة الأزمات المزمنة، وهي أحد الأسباب الرئيسية للاضطرابات التي شهدتها الجزائر، كما أن نظامها السياسي لا يعد مستقراً، وما زالت الحكومة تعتمد بنسبة تصل إلى 70 % على عوائد النفط والغاز لتغطية نقات الميزانية السنوية.

لا تختلف الدول العربية النفطية الصغيرة عن الكبيرة في اتكالها على عوائد النفط والغاز، ونسبتها في الكويت حوالي 80 %، وفي قطر والبحرين 70 %، والحال أفضل نسبياً في الإمارات (40 %) وفي عمان (45 %).

كان للسودان حقول نفطية لكنها فقدتها بعد انفصال جنوب السودان، وفي اليمن توجد حقول نفطية لكن أنابيب النفط تتعرض بصورة متكررة للتفجير، وفي ظل الوضع السياسي المتأزم يصعب على الحكومة الاستفادة من عوائد هذا المورد الحيوي، وفي مصر أيضاً تتعرض منشآت النفط والغاز للتخريب، وقبل أن يبدأ لبنان بالاستفادة من حقول النفط البحرية لا بد أن تستقر أوضاعه الأمنية والسياسية، وهو أمر بعيد المنال في المدى القريب على الأقل، وفي سورية تتقاتل الفئات المسلحة المعارضة للحكومة للسيطرة على حقول النفط واستعمال عوائده لشراء السلاح وتهديم ما تبقى من الكيان السوري.

يصف البعض النفط بأنه نقمة على العرب، إذ وفر لهم مصدراً ميسراً للدخل والثروة، وصرفهم عن النشاط والابتكار، وهو وصف خاطئ لأنه يشبه هذه الأمة بأطفال أفسدهم دلال الوالدين الزائد، والحقيقة أن النفط نعمة كبرى فشل العرب في الاستفادة منها، وهم من جعلها نقمة، يتقاتلون حول السيطرة عليها ويستعينون بالغرباء على بعضهم البعض من أجل ذلك.

الإعرابي وجرة الزيت ليست مجرد حكاية بل هي تكاد تكون نبوءة حققها العرب بأنفسهم، إذ لم يشفى الاعراب من هوس حب السيطرة، وكل

اهتمامهم منصب على امتلاك العصي الكفيلة بردع شعوبهم وجيرانهم، ولم يترددوا في استعمالها مراراً وتكرارا داخل وخارج حدودهم، وقد تبددت مليارات براميل النفط بسبب هوس العرب بالسيطرة وامتلاك العصي وهم مستمرون على هذا المنوال حتى ينضب النفط وبقية الموارد، ولن ينجيهم من المستقبل القاتم الذي ينتظرهم سوى الله وتغيير ما في أنفسهم.

10 كانون الثاني 2014م

ناقة الله وتدنيس الأمريكان للقرآن الكريم

بالأمس دنس جندي أمريكي من قوات الاحتلال في العراق نسخة من القرآن الكريم بأن جعلها هدفاً للرماية، وتفيد التقارير بأن تلك لم تكن حادثة فردية، فقد سبق لجنود أمريكيين وبصورة متكررة إهانة القرآن الكريم وتدنيس المساجد، ناهيك عن انتهاكهم أعظم الحرمات في شرع الله بقتلهم الأبرياء من الرجال العزل والنساء والأطفال.

لعل البعض يقول بأنها مجرد عنجهية محتلين، وليست أمراً مبيتاً، خططوا له من قبل، ولربما عزاه البعض لنقمة العلمانيين على الأديان كلها، وأقول لو كانت الحملة ضد الإسلام مجرد فصل من فصول هجمة العلمانيين ضد الأديان فلم تغاضى هؤلاء "العلمانيون" عن أكبر فضيحة أخلاقية في تاريخ الدين المسيحي، وهي لواط قساوسة كاثوليك في أوروبا وأمريكا بالألاف من الصبية القصر، من الأيتام في الملاجئ الكنسية وغيرهم، وصبوا اهتمامهم على تشويه صورة الإسلام؟ ليس من قبيل الصدفة تزامن نشر الرسوم الساخرة من الرسول الأعظم وعرض فلم مسيء للإسلام مع تدنيس القرآن الكريم، فهي كلها متسقة في مقاصدها مع أهداف الاحتلال الأمريكي وحلفاءه الأوربيين في العراق والمنطقة، والقاسم المشترك بينها هو إذلال المسلمين إلى الحد الذي تنحط فيه روحهم المعنوية واعتزازهم بأنفسهم وبهويتهم الثقافية إلى الحضيض الذي يكونون فيه غير قادرين على مقاومة الاحتلال الأمريكي، مما سيمكن الغزاة الأمريكيين من بلوغ أهدافهم في دحر قوى الممانعة وعلى رأسها إيران وحركات التحرر الشيعية في لبنان والعراق تمهيداً للهيمنة على المنطقة برمتها، وتشهد المصادر التاريخية ودراسات الأنثروبولوجيا بأن المستعمرين كانوا إذا أرادوا بسط سيطرتهم على أمة من الأمم استهدفوا معتقداتها الدينية بالسخرية والتدنيس وشجعوا السكان على مخالفة تعاليمها باقتراف الفواحش والمنكرات، وقد نجح المستعمرون

الأوروبيون في اجتثاث السكان الأصليين في قارتي أمريكا الشمالية واستراليا وايصالهم إلى حافة الانقراض بهذه الطريقة، وهاهم الأمريكيون يطبقون نفس السياسة في العراق وأفغانستان.

كانت ردود الفعل على تدنيس القرآن الكريم وغيرها من الإهانات المقصودة لديننا فاترة جداً، ومخيبة للآمال، وخاصة على صعيد الحكومات والمؤسسات الرسمية والمراجع الدينية، فقد اقتصرت الاحتجاجات الشعبية على خروج الألاف في مظاهرات انتهت بإحراق أعلام دول غربية، واكتفى بعض رجال الدين بإصدار بيانات استنكارية، وشتان ما بين ردود الفعل الباهتة هذه والغضب العارم الذي استقبل به المسلمون وعلى رأسهم الإمام الراحل الخميني كتاب المرتد سلمان رشدي في ثمانينات القرن الماضي، وهو مؤشر خطير دال على سريان الوهن في صفوف المسلمين نتيجة جهود أعداء المسلمين وعملائهم في المنطقة لبث الفرقة بينهم من خلال اصدار الفتاوى الوهابية التكفيرية، وتنفيذ العمليات الإرهابية الطائفية، والتمكين لبقاء الاحتلال الأمريكي في العراق لأمد غير منظور، وهي بمثابة رسالة مشجعة للمحتلين الأمريكان وأعوانهم الأوروبيين، مما يستدعي التذكير بالناقة.

اختبر الله قوم ثمود بالناقة، وثمود من الأعراب البائدة، ونبيهم صالح عليه السلام، ويخبرنا القرآن الكريم قصة ثمود والناقة في الآية القرآنية التالية: (وإلى ثمود أخاهم صالحاً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من آله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم هذه ناقة الله آية فذروها تأكل في أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب أليم) الأعراف:73، ولقد أخفق الثموديون في الاختبار الرباني فأقدموا على قتل الناقة، كما يبين لنا القرآن الكريم: (فعقروا الناقة وعتوا عن آمر ربهم وقالوا يا صالح آتنا بما تعدنا إن كنت من المرسلين فاصبحوا في دارهم جاثمين) الأعراف:77-78.

أباد الله ثمود لعقرهم الناقة، والناقة غير ناطقة بينما القرآن الكريم كتاب الله المبين، والداعي إلى الصراط المستقيم، وهو الشاهد الدائم على نزول الوحي، والحجة المستمرة على الخلق أجمعين، وتكمن أهمية الناقة كما يبينها لنا القرآن الكريم في كونها آية من آيات الله (هذه ناقة الله آية)، وفي القرآن

الكريم 6236 آية، فإذا كان الله أباد ثمود لانتهاكهم آية واحدة فما هو جزاء من يسيء للقرآن الكريم؟ وما الذي سيحيق بنا نحن المسلمين من غضب رباني على سكوتنا على هذه الاساءات المتواصلة؟ لو استمر صمتنا على الاحتلال الأمريكي واستهانته بمعتقداتنا فأجزم بأننا سنخسر تدريجياً ثقافتنا وهويتنا وكرامتنا وعزة أنفسنا، وآنذاك سنتمنى لو أبادنا الله مثل ثمود وكنا نسياً منسيا.

5 حزيران 2008م

الحكم القرآني بشأن رضا الغرب والصهاينة عن حكومات عربية وإسلامية

لو لم تكن النظم الغربية راضية عن حكومات عربية وإسلامية لما زودتهم بالأسلحة المتطورة، وسكتت على نظمهم السياسية المتخلفة، وغطت على سجلهم المخزي في حقوق الإنسان، وتغاضت عن نهبهم لأموال شعوبهم، وتغافلت عن اضطهادهم للمرأة واستغلالهم للعمالة الأجنبية، وانتخبتهم لمجالس حقوق الإنسان، وغفرت لهم تصديرهم الإرهاب، كما تحظى حكومات عربية أخرى بهذا الرضى، الذي يترجم دعماً سياسياً ودبلوماسياً واقتصادياً وعسكرياً.

الصهاينة أيضاً راضون عنهم، فهم أعضاء مؤسسون في جبهة الاعتدال، ومعادون بقوة لدول الممانعة، ودعاة استسلام وتطبيع، ومتآمرون على المقاومة، ومتهافتون للاعتراف بكيان الصهاينة، ومقيمون للعلاقات معه، السياسية والاقتصادية، وفي العلن والخفاء.

نستنتج من ذلك أن الغرب والكيان الصهيوني راضون كل الرضا عن حكومات عربية وإسلامية معروفة تقرّ بتحالفها مع الدول الغربية ومتسالمتها للكيان الصهيوني

(وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ) [البقرة: 120] حقيقة ربانية قرآنية، والمخاطب بها المسلمون، تبين علاقة ثابتة، بين الرضا واتباع الملة، والرضا هنا مشروط باتباع الملة، فلن يتحقق الرضا إلا باتباع الملة، فلو وجد الرضا فلا بد أن نقر بتحقق الشرط الملزم.

لو رتبنا هذه الحقائق في منظومة منطقية لنتج لدينا ما يلي:

المقدمة الأولى: (لن ترضى عنك اليهود والنصارى حتى تتبع ملتهم) وهي قانون رباني.

المقدمة الثانية: الدول الغربية والكيان الصهيوني راضون عن الكثير من حكام العرب والمسلمين وأتباعهم.

النتيجة: حكام العرب والمسلمين الموالين للدول الغربية والمعترفين بالكيان الصهيوني المغتصب لوطن الفلسطينيين هم على ملة الدول الغربية والكيان الصهيوني.

هي النتيجة الوحيدة التي تنبع من المقدمتين، ولكن قد يجد البعض صعوبة في تقبلها، لأن هؤلاء الحكام واتباعهم مسلمون، ولو ظاهرياً على الأقل، كما يستدل من أقوالهم وافعالهم، أو بعضها على الأقل، ويأتينا البيان والتوضيح من القرآن الكريم نفسه، وفي الآيات الكريمة التالية:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الَّذِينَ اتَّخَذُواْ دِينَكُمْ هُزُواً وَلَعِباً مِّنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ) [المائدة 57]

(لاَّ يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاء مِن دُوْنِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللّهِ فِي شَيْءٍ إِلاَّ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللّهِ الْمَصِيرُ) [أل عمران 28]

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاء مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُواْ لِلّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَاناً مُّبِيناً) [النساء 144]

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) المائدة: 51

تتفق كتب التفسير والفتاوى والأحكام ومن مدارس فقهية متعددة على التحذير من موالاة ومودة النصارى واليهود التي قد تؤدي بالفرد والجماعة إلى الارتداد والخروج عن الإسلام وكما هو مبين في عينة من هذه المصادر:

في تفسير الجلالين نجد التفسير التالي للآية الأخيرة:" (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء) توالونهم وتوادونهم (بعضهم أولياء بعض) لاتحادهم في الكفر (ومن يتولهم منكم فإنه منهم) من جملتهم (إن الله لا يهدي القوم الظالمين) بموالاتهم الكفار. ونجد في تفسير محمد بن جرير

الطبري (ج 10 / ص 398) معنى مشابهاً للآية: "قال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال: إن الله تعالى ذكره نهَىَ المؤمنين جميعا أن يتخذوا اليهود والنصارى أنصارًا وحلفاءَ على أهل الإيمان بالله ورسوله وغيرَهم، وأخبر أنه من اتخذهم نصيرًا وحليفًا ووليًّا من دون الله ورسوله والمؤمنين، فإنه منهم في التحزُّب على الله وعلى رسوله والمؤمنين، وأن الله ورسوله منه بريئان." ومن الواضح بأن المسلمين الأوائل كانوا مقتنعين بأن موالاة المسلم لليهود أو النصارى تصيره واحداً منهم، وكما هو مبين في الرواية التالية الواردة في تفسير القرآن العظيم للحافظ أبي محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي (ج 5 / ص 6):(حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الصَّبَّاحِ، ثنا عُثْمَانُ بْنُ عُمَرَ، ثنا ابْنُ عَوْنٍ، عَنِ محمد ابْنِ سِيرِينَ، قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُتْبَةَ: "لِيَتَّقِ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكُونَ، يَهُودِيًّا أَوْ نَصْرَانِيًّا وَهُوَ لا يَشْعُرُ"، قَالَ: فَظَنَنَّاهُ أَنَّهُ يُرِيدُ هَذِهِ الآيَةَ " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ")

أما سبب نزول الآية فهو وفقاً لتفسير البغوي لأبي محمد الحسين بن مسعود بن محمد الفرَّاء البغوي الشافعي (ج 3 / ص 67) كما يلي: "قال السدي: لما كانت وقعة أحد اشتدت على طائفة من الناس وتخوفوا أن يدال عليهم الكفار فقال رجل من المسلمين: أنا ألحق بفلان اليهودي وآخذ منه أمانا إني أخاف أن يدال علينا اليهود، وقال رجل آخر: أما أنا فألحق بفلان النصراني من أهل الشام وآخذ منه أمانا، فأنزل الله تعالى هذه الآية ينهاهما."

قدم السلفي عبد الرحمن بن ناصر السعدي في تفسيره الموسوم، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ج 1 / ص 235) التفسير التالي لهذه الآية: "رشد تعالى عباده المؤمنين حين بيَّن لهم أحوال اليهود والنصارى وصفاتهم غير الحسنة، أن لا يتخذوهم أولياء. فإن بَعْضهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يتناصرون فيما بينهم ويكونون يدا على من سواهم، فأنتم لا تتخذوهم أولياء، فإنهم الأعداء على الحقيقة ولا يبالون بضركم، بل لا يدخرون من مجهودهم شيئا على إضلالكم، فلا يتولاهم إلا من هو مثلهم، ولهذا قال: { وَمَن يَتَوَلَّهُم

مِّنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ } لأن التولي التام يوجب الانتقال إلى دينهم. والتولي القليل يدعو إلى الكثير، ثم يتدرج شيئا فشيئا، حتى يكون العبد منهم."

وفي كتابه مراجعات قرآنية (ج 1 / ص 113) يوضح رياض الحكيم الارتباط بين الولاء والانتماء في الآية الكريمة بصيغة سؤال وجواب:

"س 246 ـ كيف يقول: ((وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ))مع أنّ ولاءهم لا يُخرج المسلم عن الإسلام؟

ج ـ ليس المراد أنه يصير يهودياً أو نصرانياً، وإنّما بولائه لهم ينتسب إلى جماعتهم ومعسكرهم المعادي للإسلام."

ونجد تفسيراً مماثلاً في ظلال القرآن للسيد قطب - (ج 2 / ص 388):

ويحسن أن نبين أولاً معنى الولاية التي ينهى الله الذين آمنوا أن تكون بينهم وبين اليهود والنصارى . إنها تعني التناصر والتحالف معهم . ولا تتعلق بمعنى اتباعهم في دينهم . فبعيد جداً أن يكون بين المسلمين من يميل إلى اتباع اليهود والنصارى في الدين . إنما هو ولاء التحالف والتناصر ، الذي كان يلتبس على المسلمين أمره ، فيحسبون أنه جائز لهم ، بحكم ما كان واقعاً من تشابك المصالح والأواصر ، ومن قيام هذا الولاء بينهم وبين جماعات من اليهود قبل الإسلام ، وفي أوائل العهد بقيام الإسلام في المدينة ، حتى نهاهم الله عنه وأمر بإبطاله .

ويكمل سيد قطب تفسيره لهذه الآية المباركة - (ج 2 / ص 391):

إذا كان اليهود والنصارى بعضهم أولياء بعض فإنه لا يتولاهم إلا من هو منهم . والفرد الذي يتولاهم من الصف المسلم ، يخلع نفسه من الصف ويخلع عن نفسه صفة هذا الصف « الإسلام » وينضم إلى الصف الآخر . لأن هذه هي النتيجة الطبيعية الواقعية :

{ ومن يتولهم منكم فإنه منهم } . .

وكان ظالماً لنفسه ولدين الله وللجماعة المسلمة . . وبسبب من ظلمه هذا يدخله الله في زمرة اليهود والنصارى الذين أعطاهم ولاءه . ولا يهديه إلى الحق ولا يرده إلى الصف المسلم :

{ إن الله لا يهدي القوم الظالمين } . .

التفسير الميسر - (ج 2 / ص 225):

يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى حلفاءَ وأنصارًا على أهل الإيمان; ذلك أنهم لا يُوادُّون المؤمنين، فاليهود يوالي بعضهم بعضًا، وكذلك النصارى، وكلا الفريقين يجتمع على عداوتكم. وأنتم -أيها المؤمنون- أجدرُ بأن ينصر بعضُكم بعضًا. ومن يتولهم منكم فإنه يصير من جملتهم، وحكمه حكمهم. إن الله لا يوفق الظالمين الذين يتولون الكافرين.

في طريق السالكين - (ج 1 / ص 97):

لا يجوز تسليم الولاية للكفَّار لأنَّ هذا لو حصل والعياذ بالله تعالى فسوف يُؤدِّي فوراً أو تدرُّجاً إلى اضمحلال مجتمع المؤمنين. فكما أنَّ المؤمن وليُّهُ الله تعالى، كذلك للكفَّار أولياء {والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت}(116).

فكيف يتَّخذ المؤمن الكافرين أولياء؟!

وبهذا الصدد كتب السلفي الراحل ورئيس علمائهم في السعودية عبد العزيز بن باز آنذاك ما يلي: "قد دل الكتاب والسنة وإجماع المسلمين على أنه يجب على المسلمين أن يعادوا الكافرين من اليهود والنصارى وسائر المشركين، وأن يحذروا مودتهم واتخاذهم أولياء، كما أخبر الله سبحانه في كتابه المبين"

سورة القصص دراسة تحليلية - (ج 2 / ص 51):

فقد انعقدت ندوة لواء الإسلام((1)) بدار لواء الإسلام في مساء الثلاثاء 16 من جمادى الأولى 1376 هجرية الموافق 18 من ديسمبر 1956 م بحضور مجموعة كبرى من علماء الأزهر ، وهم كلّ من : أحمد حمزة ، صبري عابدين ، أمين عز العرب ، عبد العزيز عامر ، سليمان العقاد ، مصطفى زيد ، سليم أبو العز ، مرسي عَبْد الله الصديق العماري ، مُحَمَّد سيد جاد الحق ، فهمي

خالد مسعود ، مُحَمَّد سابق ، مُحَمَّد البنا ، مُحَمَّد أبو زهرة مُحَمَّد توفيق عربة ، مُحَمَّد علي شتا . وبدأت الندوة بمناقشة (الحكم الشرعي فيمن يعين دولة أجنبية على دولة مسلمة) فأجمعوا على تحريم أية معاونة للكافرين على المسلمين باعتبار من فعل ذلك تجري عليه أحكام المرتدين .

أوضح الشيخ صالح بن فوزان الفوزان أسئلة وأجوبة في مسائل الإيمان والكفر، كتب العقيدة - (ج 20 / ص 14) ضرورة معاداة الكفار:

فيجب معاداة الكفار وبغضهم وعدم مناصرتهم على المسلمين ، وقطع الصلة معهم من ناحية المودة والمحبة وبغض ما هم عليه من الكفر، كل هذا يجب على المسلم أن يقاطعهم فيه وأن يبتعد عنهم ولا يحبهم ولا يناصرهم على المسلمين ولا يدافع عنهم ولا يصحح مذهبهم، بل يصرح بكفرهم وينادي بكفرهم وضلالهم ويحذر منهم .

أولوية التوحيد وتنقيته مما يشوبه من البدع عقيدة أساسية تطرق لها مراراً محمد بن عبد الوهاب، ففي موسوعة توحيد رب العبيد - (ج 11 / ص 32) ذكر بأمر نبي الإسلام بواجب إخراج غير المسلمين من الجزيرة العربية:

فالآن أصبحنا في محنة وخطر عظيم ، لأنه يخشى على أبنائنا وأبناء قومنا أن يركنوا إلى هؤلاء ويوادونهم ويحبوهم ، ولذلك يجب أن تخلص هذه البلاد بالذات منهم ، فهذه البلاد قال فيها الرسول - صلى الله عليه وسلم - : " لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب حتى لا أدع إلا مسلماً " { 1 } ، وقال " أخرجوا اليهود والنصارى من جزيرة العرب " { 2 } وقال "أخرجوا المشركين من جزيرة العرب"، وهذا كله من أجل ألا يشتبه الأمر على الناس ويختلط أولياء الله بأعدائه .

ونقل صالح بن فوزان الفوزان ،مسائل في الإيمان، كتب العقيدة - (ج 22 / ص 29) عن حفيد محمد بن عبد الوهاب:

قال سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب في الدرر السنية 128/8 : (نهى سبحانه المؤمنين عن اتخاذ اليهود والنصارى أولياء وأخبر أن من تولاهم من المؤمنين فهو منهم.

يتكرر هذا التحذير والنهي في مؤلفات السلفيين وغيرهم كما في الصوص التالية:

حمود بن عقلاء الشعيبي، القول المختار في حكم الاستعانة بالكفار - (ج 4 / ص 14):

وقطع الموالاة بين اليهود والنصارى وبين المؤمنين وأخبر أن من تولاهم فإنه منهم في حكمه المبين فقال تعالى وهو أصدق القائلين : { يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين }

التبيان شرح نواقض الإسلام - (ج 1 / ص 17):

وبهذا البيان يتبين لك ما عليه كثير من حكام البلاد التي تنتسب إلى الإسلام؛ لأنهم والوا أهل الإشراك، وقربوهم، وعظموهم، وجعلوا بينهم علاقات تدل على أنهم إخوان لهم، إضافة إلى ذلك أنهم عادوا أهل الدين وآذوهم وأودعوهم في السجون؛ فهل يبقى إسلام بعد هذا؟!".

الأصول الثلاثة - (ج 1 / ص 22):

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : (أخبر الله في هذه الآية أن متوليهم هو منهم)

حديث حول الأحداث ظاهرة الغلو والتكفير - (ج 1 / ص 52):

إن مظاهرة المشركين على المسلمين، وتولي الكافرين من عظائم الذنوب، وقد يكون من الكفريات، كما قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) (المائدة:51)

لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر - (ج 1 / ص 297):

وجوب بغض الكفار من اليهود والنصارى وسائر المشركين وعلى وجوب معاداتهم حتى يؤمنوا بالله وحده ، وتدل أيضا على تحريم مودتهم وموالاتهم

وذلك يعني بغضهم والحذر من مكائدهم وما ذاك إلا لكفرهم بالله وعدائهم لدينه ومعاداتهم لأوليائه وكيدهم للإسلام وأهله ،

لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر - (ج 1 / ص 321):

يفهم من ظواهر هذه الآيات أن من تولى الكفار عمداً اختياراً رغبة فيهم أنه كافر مثلهم " انتهى .

لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر - (ج 1 / ص 401)

وفي منتصف القرن الرابع عشر اعتدى الفرنسيون والبريطانيون على المسلمين في مصر وغيرها فأفتى الشيخ أحمد شاكر بكفر من أعان هؤلاء بأي إعانة (كلمة حق : ص 126 وما بعدها) وعندما استولى اليهود على فلسطين في منتصف القرن الرابع عشر الهجري، وأعانهم بعض المنتسبين إلى الإسلام أفتت لجنة الفتوى بالأزهر برئاسة الشيخ عبد المجيد سليم عام 1366هـ بكفر من أعانهم ، وفي عصرنا الحاضر ، وعندما نزلت نازلة الزمان اليوم ، وتحالفت قوى الكفر على حرب دولة أفغانستان المسلمة بقيادة طاغوت العصر أمريكا ، ومن حالفها من النصارى والشيوعيين والوثنيين والمنتسبين إلى الإسلام من الزنادقة والمنافقين لم تعدم الأمة من قائل للحق وصادع به من علمائها الربانيين في بلاد الإسلام عرضاً وطولاً" حيث أفتوا جميعهم بأن من أعان أمريكا وحلفاءها من الكفرة والمنافقين على حرب أفغانستان المسلمة فإنه بذلك يخرج من دائرة الإسلام ويحكم بردته ، ودعموا فتاويهم بالأدلة من الكتاب والسنة وأقوال السلف في تفسير بعض الآيات التي تنهى عن تولي الكافرين كما في قوله تعالى "يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولَّهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين" [المائدة : 51] ومن هؤلاء العلماء علماء المغرب ، ومفتي باكستان (نظام الدين شامزي) وعلماء اليمن وغيرهم من علماء البلدان الإسلامية، ومن بلاد الحرمين الشيخ حمود العقلا ، والشيخ عبد الرحمن بن ناصر البراك ، والشيخ عبد الله بن محمد الغنيمان، والشيخ

سلمان العودة ، والشيخ سفر الحوالي ، وغيرهم من العلماء وطلبة العلم - حفظ الله الجميع ورعاهم - .

وفي الوقت الذي فرحنا فيه بهذه الفتاوى التي صدعت بالحق وقالته في وقته الذي يجب أن يقال فيه فإنه في الوقت نفسه قد أحزننا غياب بعض العلماء عن هذه النازلة التي تنتظر فيها الأمة قول علمائها والصدع بالحق فيها ، مع أن هذه النازلة من الوضوح بحيث لا يرد على العالم فيها لبس ولا شبهة حتى يقال : إن هناك تردد وتوقف يبرر به السكوت والإحجام ، ويزداد الحزن والألم حينما نسمع من بعض العلماء أو طلبة العلم ، من يتأول بعض النصوص وينزلها في غير مكانها من دون تخريج ، ولا تنقيح ، ولا تحقيق لمناطاتها ، حيث آل به الأمر إلى فتوى خطيرة مفادها: أن أمريكا الكافرة وحلفاءها ؛ إنما جاءوا لإقامة العدل ومحاربة الإرهاب والظلم فيجوز مساعدتها على ذلك .. !!! سبحانك هذا بهتان عظيم . ومتى عرفت أمريكا العدل وتاريخها كله ظلم وعدوان ، وهل جاءت لإقامة العدل أم لتعلنها حرباً صليبية على لسان شيطانها الأكبر (بوش) .

إننا ننصح علماءنا هؤلاء بأن يُتابعوا الأخبار ليطلعوا على الأطفال والنساء والشيوخ المسلمين الذين مزقت أجسادهم صواريخ كروز والقنابل الانشطارية، ثم يقوموا لله ويسألوا أنفسهم هل هذا هو العدل الذي جاءت أمريكا لإقامته، وهل هؤلاء الأبرياء هم الإرهابيون الذين زعمت أمريكا أنها تحاربهم ؟ يا علماءنا هؤلاء اتقوا الله في أنفسكم ، فلا تظلموها وتعرضوها لسخط الله - تعالى- فإن هذا الموقف منكم له ما بعده في الدنيا والآخرة وستكتب شهادتكم وتسألون. واتقوا الله في أمتكم ، فلا تكتموا عنها الحق ولا تلبسوا الحق بالباطل وأنتم تعلمون أولا تعلمون .

ويا ليتكم سكتم إذ لم تقدروا على قول الحق فهو أخف أثماً من قول الباطل. وإننا نناشدكم ونقول : ارحموا شباب الصحوة، وأشفِقوا عليهم من المواقف المخذلة والفتاوى المتسرعة، فإن الشباب المسلم إن لم يجدوا فيكم من يلتفُّوا عليه، ويسمعهم الحق ويصدع به فإنهم سيذهبون إلى بعضهم ويجتهدون لأنفسهم؛ مما قد يكون فيه فتنة وفساد. وحينئذٍ ستلومونهم

وتشيّعون عليهم، مع أنكم من بين الأسباب التي قد تدفعهم إلى التسرع وعدم الانضباط؛ وذلك بعدم إسماعهم ما يجب عليكم قوله في هذه النازلة العظيمة ، أو إسماعكم لهم أقوالاً غريبة تجرح شعور كل مسلم يحب المؤمنين ، ويعادي الكافرين .

ومن المؤكد بأن هؤلاء الحكام موالون للحكومات الغربية، ولاية لا تقتصر على المودة والصداقة والتنسيق والتضامن، بل تتعداها إلى الامتثال لإملاءات الحكومات الغربية، ومن خلفهم الصهاينة بالطبع، وهم معادون للمسلمين وقضاياهم العادلة، وتكفي قضية فلسطين دليلاً على ذلك، ولو طبقنا الحكم الرباني المبين في الآية الكريمة على حكام العرب الموالين للغرب والصهاينة لتوصلنا إلى نتيجة وهي أن هؤلاء الحكام هم "منهم"، أي من اليهود والنصارى.

العرب وهوس الإمارة

يقترن ذكر السقيفة بأمور عدة، قد تختلف أهميتها بين المؤرخين، ومن طائفة لأخرى، إذ غالباً ما ينعكس الخلاف في الفكر والاعتقاد على حقائق التاريخ، فيتم تأويلها أو حتى تحويرها وربما تزويرها لتلائم هذا الموقف أو ذاك، لذا نجد أحياناً أن الاجماع يقتصر على القليل من وقائع التاريخ، ومن هذا القليل المتعلق بالسقيفة القول المروي: "منا أمير ومنكم أمير".

للإمارة أو الرئاسة قيمة اجتماعية عظمى لدى العرب، من قبل وبعد السقيفة، هي أحد أسباب فشل العرب في تأسيس ممالك مستقرة في الجاهلية، فالممالك الجاهلية نتاج تحالفات قبلية، أنشأتها بمشقة صعود جبل شاهق وانهارت بسرعة التدحرج منه، تلك ممالك الرمال العربية.

لو خلع عثمان بن عفان قميص الخلافة "المقدس" فهل كان الجمل سيبقى باركاً في المدينة المنورة؟ المؤكد أن معاوية بن أبي سفيان سيتعذر بغير قميص عثمان الملطخ بالدماء ليبرر عصيانه وهو القائل: ما قاتلتكم لتصلوا ولا لتصوموا ولا لتحجوا ولا لتزكوا، وقد أعرف أنكم تفعلون ذلك، ولكن إنما قاتلتكم لأتأمر عليكم، وقد أعطاني الله ذلك وأنتم له كارهون [عبد الله بن محمد بن أبي شيبة، المصنف، كتاب الأمراء]

ذهب السفيانيون وجاء المروانيون، وأولهم مروان بن الحكم الذي أقر على نفسه بأنه "قتل الناس بالسيوف على الملك" [ابن كثير، البداية والنهاية، الجزء 11، ص 676].

تاريخ الأمويين والعباسيين في معظمه سجل صراعات على السلطة، وقد بلغ هوس الخلافة والإمارة بالبعض إلى قتل أقرب الناس إليهم، ويروى أن الخليفة العباسي الهادي قتل مخنوقاً بأمر والدته الخيزران، وتقاتل المأمون مع أخيه الأمين على الخلافة وانتهى الصراع بمقتل الأمين وهزيمة قواته التي ضمت بين صفوفها قطاع الطرق واللصوص من عياري وشطار بغداد،

واستعان المنتصر بقادة العسكر الأتراك على قتل أبيه الخليفة المتوكل وجلس محله، وقتل المعتز المستعين، وكلهم من بني العباس.

نمر بسرعة على تاريخنا القديم وصفحاته الملطخة بالأحمر والأسود لنصل إلى الأمس القريب، في جزيرة العرب صراع مزمن بين عائلة أمرائها من آل الرشيد، وهو أحد اسباب هزيمتها أمام آل سعود، قتل الأمير بندر آل الرشيد عمه متعب، فانتقم منه أخ المغدور فأقدم على قتله ومعه معظم ابناءه، وليس من قبيل الصدفة البحتة أن تنتهي الدولة السعودية الثانية بعد خروج سعود بن فيصل على أخيه الحاكم عبد الله بن فيصل آل سعود، ومن أبشع فصول التاريخ الكويتي قتل مبارك لأخويه الشيخ محمد وجراح غيلة وغدراً ليستحوذ على المشيخة بمباركة بريطانية، حتى غدا انقلاب الاخ على أخيه أو الابن على أبيه من أجل الإمارة تقليداً ثابتاً بين حكام الخليج، وعلى سبيل المثال لا الحصر أزاح فيصل آل سعود أخيه سعود عن الملك وشيخ الإمارات زايد أخيه شخبوط، وكذلك فعل كل من سلطان عمان قابوس والقطري حمد بأبيه.

هوس الإمارة موجود بين العراقيين، لأنهم قبليون قبل أي شيء آخر، عندما اغتال أحد شيوخ العشائر في جنوب العراق أخاه طمعاً بالرئاسة برر فريق المزهر آل فرعون هذه الجريمة الشنعاء في كتابه القضاء العشائري واصفاً مقترفها بالطموح والشجاعة والرفعة: (ولكن هذا الرجل الذي قتل ابن عمه أو أخاه إذا أجلي فهو يحترم من مراحل جلائه للمنزلة الرفيعة التي كان يتمتع بها كما أنه ينظر لا بنظر المجرم العادي بل بنظر الرجل الطموح فتراه بين ظهراني القبيلة التي اتخذها مركزاً لسكناه من جلائه هذا إذا دخل عليهم أو حل في نواديهم يقومون له إجلالاً ويحترمونه احتراماً ما يحترم الرجل الشجاع لطموحه في الزعامة وحبه للسيطرة وشغفه بالنفوذ وإذا وجد رجل يتصف بهذه الصفات يجب أن يحترم فإنه إنما أقدم على القتل لا لأمر دنيء بل لأمر خطير بعيد عن الدناءة فيجب على القبيلة التي يحل بساحتها أن تحترمه) [فريق المزهر آل فرعون. **القضاء العشائري**. بغداد: مطبعة النجاح، 1941، ص62]

أيهما أسوء العراقي قاتل أخيه من اجل الإمارة والرئاسة أم قابيل الذي قتل اخاه لأن الله تقبل قربانه ولم يتقبل منه؟ كلاهما قاتلان وينطبق عليهما الحكم القرآني بأن من قتل نفساً بغير نفس أو فساد فكإنما قتل الناس جميعاً، ومن قتل مؤمناً باء بغضب الله واستحق العذاب العظيم، لكن أعراف القبليين مناقضة لحكم الله، إذ يستحق قاتل أخيه على الرئاسة بينهم الاحترام والاجلال، وهو الدليل القاطع على هوسهم بالسلطة.

أجزم بأن عدد الأمراء والأميرات في الدول العربية اليوم أكبر من مجموعهم في بقية بلاد العالم قاطبة، والمقصود بالأمراء العرب هنا هم أعضاء العائلات الملكية أو من يساويهم في المكانة من سلاطين وشيوخ، والعدد في ازدياد كل يوم، إذ لا تمر نشرة أخبار حتى نسمع عن اختيار أو تعيين أو هلاك أمير في العراق وسورية ولبنان ومصر وتونس والجزائر، هؤلاء هم أمراء الجماعات الإرهابية، الذين أضفوا على أنفسهم هذا اللقب لأنهم مهووسون بالإمارة أيضاً، وقد بلغ بهم هذا الهوس تطرفاً غير مسبوق، ومن أجل الإمارة قتلوا أخوتهم في الدين وجيرانهم والنساء والأطفال، وتقاتلوا فيما بينهم عليها.

دواء العرب من هوس الإمارة في البراءة من القبلية ونبذ التسلط وتطبيق العدالة والمساواة وبناء مجتمع المعرفة.

14 اذار 2014م

(للإسلام غايتان عظمتان هما الإحياء والاصلاح، ووسيلة كبرى وهي التعلم)

كباب بربر والرؤوس المشوية على موائد البرابرة

كان الخبر مفاجأة، لذيذة بالتأكيد، إذ ليس للعرب المعاصرين سبق، في أي من المجالات الحضارية، وأصلاً هم لا يتسابقون، إلا في تخريب بيوتهم بأيديهم والشعر والشتائم، لذلك من حقهم أن يفرحوا بهذا السبق النادر.

مفاجأة هلل لها بعض اللبنانيين، وسط أجواء من التشاؤم، لن يبددها تشكيل حكومة، معروف مصيرها مسبقاً، أو إقرار قانون انتخابي لن يرضي الجميع، قبل وقوع الفتنة بينهم مجدداً أو تقوم القيامة، أيهما أقرب توقيتاً.

من حق العرب أن يفرحوا أيضاً، وبالأخص الفلسطينيون، فهم فازوا بالمركز الثالث، ويمكن التصبر به حتى يتشكل الكانتون الفلسطيني رسمياً في الضفة الغربية وغزة.

الخبر المبهج هو فوز مطعم بربر اللبناني بعرش الكباب العالمي، إذ اختاروه كأحسن مطعم للكباب في العالم، وفاز بالمركز الثاني مطعم تركي، فهنيئاً لأردوغان وأخوانه، وجاء بالمركز الثالث مطعم فلسطيني، وقد يثير حصول مطعم إيراني على المركز الخامس جدالاً فقهياً، على قاعدة لو كانوا من الطائفة الناجية لفاز كبابهم بالمركز الأول.

وبالأمس أيضاً كان للعرب سبق في مضمار آخر، إذ شاهدنا شريطاً مسجلاً لمعارض سوري مسلح يشوي رؤوساً بشرية، ولو اجريت منافسة للبربرية فلن ينافسه على المركز الأول سوى إرهابي سوري اخر شق صدر قتيل، من جنود أو انصار الحكومة، وآلتقم قطعة من قلبه، ومن بعدهما يأتي إرهابيو العراق في الترتيب، وهم أول من استن قطع الرؤوس واقتطاع ثدي النساء، وكل الإرهابيين العرب وأخوتهم يدينون بالفضل للأتراك العثمانيين، رواد التعذيب والتنكيل، ومنها إدخال سيخ في أجساد الأسرى وشويهم على النار، ومن العثمانيين تعلم سكان ترانسلفانيا في رومانيا وأميرهم فلاد (ولقبه

المخوزق) الخوزقة، وبينما يتفاخر العثمانيون الجدد وحلفاؤهم من العرب بالخلافة العثمانية وخوزقتها وشويها للبشر تبرأ الأوروبيون من فلاد، باستيحائهم من سيرته قصة الكونت دراكولا الدموية المرعبة.

حتى وقت قريب عاشت في مجاهل الأمازون قبيلة متوحشة، كان رجالها يمارسون القتل وتحنيط وتصغير الرؤوس، امتثالاً لعقيدتهم الوثنية المضللة، إذ يعتقدون بأن عمر روح الإنسان قصير، لا يتعدى أربع سنوات، لذا على الفرد قتل إنسان آخر ليكتسب بذلك روحه، وهكذا يتكرر مسلسل القتل الوحشي بينهم، وقد صنف علماء الأنثروبولوجيا هذه القبيلة ضمن مخلفات العصر الحجري.

يثير الموضوع سؤالاً: إلى أي عهد همجي في تاريخ البشر ينتمي العرب والمسلمون الذين يشوون رؤوس البشر ويأكلون لحومهم؟

20 أيار 2013م

أهون على هؤلاء العرب والمسلمين سب رسول الإسلام من انتقاد أمريكا

هم عرب ومسلمون، منهم حكام ورعية، نخب وعوام، علمانيون ومتدينون أيضاً، هم حلفاء وأصدقاء أمريكا، مذعنون لمشيئتها، مطيعون لأوامرها، منخرطون في مخططاتها، منفذون لمكائدها، يتوددون لقادتها، ويحرصون على رضاها، ويتقربون لها ولو بدماء أخوتهم من العرب والمسلمين.

في معظم بلاد العرب والمسلمين حكام متوكلون على أمريكا أولاً واخراً للحفاظ على سلطانهم ومساعدتهم في قمع شعوبهم وحمايتهم من اعدائهم الخارجيين، الحقيقيين والمتخيلين، ولو انتقدت أمريكا لزجوا بك في غياهب السجون، وهم أصدروا البيانات ونطقوا بالتصريحات لا استنكاراً لإساءات أمريكا المتكررة للإسلام بل شجباً للمظاهرات العفوية للغيورين على دينهم ونبيهم، فهل نبس أحد من حكام الخليج، على سبيل المثال لا الحصر، بكلمة استنكار صادقة على مسمع من حكومة أمريكا؟

ترتبط بعض الحكومات العربية والاسلامية في تركيا والباكستان وافغانستان والكويت والعراق والبحرين واليمن وغيرها بمعاهدات واتفاقيات استراتيجية وأمنية مع أمريكا، تحصل بموجبها أمريكا على امتيازات وتسهيلات مثل اقامة القواعد العسكرية والمقار القيادية وتوفير الخدمات اللوجستية وانشاء السفارات الماموثية، وقد تتيح لأمريكا تسيير رحلات التجسس فوق أراضيها وقتل مناوئيها بالطائرات الموجهة عن بعد، فهل يتوقع عاقل من حكومة تركيا ذات الوجهين العلماني والإسلامي (البراغماتي) أن تهمس بعبارة عتاب واحدة في اذن حليفتها الرئيسية في حلف الناتو؟

إن كنت مكارياً، فلابد لك أن تتودد للحداد، وإلا فمن يغير حدوات مطاياك؟ الحكومات العربية والاسلامية باستثناء قلة قليلة تشمل إيران وسورية أشبه بهذا المكاري، إذ تعتمد على " الحداد" الأمريكي والغربي لتزويدها بالسلاح، وفي القرون الوسطى احتكر الاقطاع الجدد الذين حصلوا على اقطاعياتهم

بفضل مناصرتهم الملوك والامراء الحاكمين صنع وتجارة السلاح، وحرموا على العامة اقتناءها لتكون القوة والمنعة لهم وحدهم، وحكام العرب والمسلمين "المكارون" بحاجة للسلاح الأمريكي لا لتحرير فلسطين وبيت المقدس وطرد الرجس الصهيوني عن المسجد الأقصى بل لتوقي شرور بعضهم البعض وردع شعوبهم عن التحرك ضدهم، كما تفرض عليهم حكومة أمريكا شراء سلاحها ذي المواصفات والقدرات المتدنية لتشغيل مصانع السلاح فيها والاستحواذ على فائض أموالهم، وتشترط عليهم عدم استخدام السلاح الأمريكي الصنع ضد حلفائها، ولو تجرأ أحد من هؤلاء الحكام على انتقاد سكوت أمريكا على الاساءة لنبي الاسلام لردت عليه بقطع امدادات السلاح والعتاد وقطع الغيار.

يقول المثل الشعبي: اطعم الفم تستحي العين، واللسان في وسط الفم، وهو الخبير لا العين بحلاوة الطعام، فهل تحرك لسان شاعر عربي، من المعاصرين أو الأقدمين، بهجاء ولي من اولياء نعمته؟ وحال حكام العرب والمسلمين في مصر والمغرب والأردن واليمن والباكستان وغيرها الواقفين على أبواب حكومة أمريكا وبرلمانها بانتظار المعونات السنوية من هبات وقروض ميسرة وقمح بثمن بخس هو أشبه بحال شعراء العرب المتملقين والمتزلفين، ولا بد لهم من تقبيل يد أمريكا العليا، في العلن والسر، ولو دعوا عليها بالكسر ففي سرائرهم فقط، وبالأمس حث حزب الأخوان المسلمين الحاكم في مصر أتباعه على التظاهر السلمي ضد الفلم المسيء للرسول الأعظم ثم تراجع، ولكم أن تتخيلوا ما حدث بين القرارين.

واجهت الدولة الأموية في مرحلتها الأولى أزمة اقتصادية، نتيجة رفض بيزنطة تزويدها بالنقود الذهبية، التي من دونها تكسد التجارة ويتعطل الاقتصاد برمته، ثم اهتدى الحكام الأمويون إلى حل للمشكلة، بفضل نصيحة من أحد احفاد النبي الأعظم، والتفاصيل لدى المؤرخين، فقاموا بصك نقودهم بأنفسهم، وصار للمسلمين اقتصادهم المستقل عن بيزنطة، لكن العرب والمسلمين اليوم حريصون كل الحرص على ربط نظمهم الاقتصادية بالاقتصاد الأمريكي والغربي المشرف على الإفلاس، وهم يودعون ألاف

المليارات من أموالهم في المصارف الأمريكية والغربية أو يشترون بها السندات الحكومية في الوقت الذي ما يزال نصف المسلمين أميون ويشكون من قلة الطعام والمساكن غير الصحية وتفشي الأمراض وتدني الخدمات ورداءة البنى التحتية والبطالة، ولو رجعوا للقرآن الكريم وبالتحديد للآيات الكريمة التي أمرت المسلمين بمقاطعة المشركين اقتصادياً في الوقت الذي كانوا فيه بحاجة للتجارة والمقايضة معهم (التوبة:28) لأدركوا أهمية الاقتصاد المستقل، إذ لا سيادة من دون اقتصاد قوي ومستقل، وحتى يعمل العرب والمسلمون بالأمر الرباني وينتبهوا لنصيحة حفيد الرسول الأعظم لحكام بني أمية فلا تنتظروا منهم ولو استجداء أمريكا لتكف عن ازدراء ديانتهم ومعتقداتهم ورموزهم الخالدة.

كان سكان أوروبا الغارقون في جهل القرون الوسطى يظنون أن العالم مسطح ولو أبحروا إلى وسط المحيط فسيصلون لنقطة النهاية ويسقطون في الفراغ، وهنالك ربما المئات من الملايين من العرب والمسلمين الذين يؤمنون بأن لا بقاء للبشرية بدون تقنيات أمريكا وطبها وادويتها وصناعاتها، كما يعتقد مترفوهم بأن لا حياة طيبة من دون وسائل الترف واللهو والعبث الأمريكية، وهم متيقنون بأنهم وحتى قيام الساعة لن يلحقوا بالركب العلمي والتقني والصناعي لأمريكا والغرب، ولو حرموا من عطاءات أمريكا العلمية والتقنية والمجونية لضاعوا في مياه المحيط المتلاطمة ولكان مصيرهم السقوط في فراغ الحرمان والهلاك، فهل يعقل أن يتخلوا عن خشبة نجاتهم الامريكية؟ هل صدقتم الآن بأن سب الرسول الأعظم أهون على نفوس بعض العرب والمسلمين من انتقاد امريكا؟

قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (التوبة :24)

16 أيلول 2012م

السلفية والديمقراطية والرافضة

في غياب عصا موسى التي تلقف ما يأفكون لا بد من الاحتكام للعقل، وأول احكام العقل تعريف المصطلحات، السلفية هم الفرقة المعروفة بالاقتداء بالسلف الصالح أي الصحابة والتابعين بإحسان، والرافضة بالحد الأدنى هم منكرو أحقية وأفضلية الصحابيين أبي بكر وعمر بن الخطاب بالخلافة، والحريات أساس النظام الديمقراطي ومن أهمها حرية اختيار القادة السياسيين.

السلفية يكفرون الرافضة، ويرون تطابق المعتقد بين الرافضة والشيعة المعاصرين، وبالذات فرقة الإماميين أو الإثنى عشرية، والسلفية يقبلون بالديمقراطية، والدليل مشاركتهم في الانتخابات المصرية الأخيرة وفوزهم بالمركز الثاني بين الأحزاب المتنافسة فيها.

جميع الخلفاء الراشدين في نظر السلفية أحق من غيرهم بالخلافة، وعلى الترتيب الزمني لولايتهم، ويكفي تصفح كتب التاريخ للتأكد بأن رفض واحد أو اكثر من هؤلاء الخلفاء ظاهرة شائعة، ولم تقتصر على الرافضة وفقاً للمفهوم السلفي، وأول الرافضين هم صحابة، فقد شهد اجتماع السقيفة تبايناً حاداً في اختيارات الصحابة، قبل الاتفاق على أبي بكر، واعترض بعض الصحابة الذين لم يحضروا الاجتماع على نتيجته، وهنالك الرافضون لدفع الزكاة للخليفة أبي بكر، وينطوي على انكار لشرعية منصب الخلافة أو لمن شغله حينئذ أو الإثنين، وفي عهد عمر بن الخطاب انشغل الصحابة بالفتوحات ومع ذلك فقد سارع الخليفة لعزل خالد بن الوليد عن قيادة جيش المسلمين لئلا يفتتن الناس به، وما بعد الافتتان غير الاختلاف بين مؤيد لهذا ومعارض أو رافض له، وفي خلافة عثمان تطورت واتسعت حركة رفض الخليفة بين السلف، وارتفعت أصوات الرافضين لخلافة عثمان بالانتقادات العلنية لتصرفاته وقراراته، وطالبه البعض بالتنحي، وانتهت خلافته بمقتله على أيدي الرافضين، وواجه الإمام علي ابن أبي طالب ثلاث جبهات رافضة لخلافته، هم

أصحاب الجمل ومعاوية بن ابي سفيان واتباعه والخوارج، وكلهم استخدموا السلاح للتعبير عن رفضهم لخلافته.

إن تكفير السلفية للرافضة على أساس رفضهم لخلافة أبي بكر وعمر يسري بالضرورة على كل الرافضين لأي من الخلفاء الراشدين، وبالتالي فإن كل المشاركين في قتل عثمان والمتخلفين عن نصرته وكذلك الخوارج ومعاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص واتباعهما وطلحة والزبير وكل من سار وراء الجمل بالنتيجة كفار وفقاً لحكم السلفية بتكفير الرافضة.

أربعة عشر قرناً تفصل بين تلك الحقبة المضطربة من تاريخ المسلمين والحاضر، والخلاف ما زال مستمراً، الشيعة يرفضون والسلفية يكفرون، والجديد هو مشاركة السلفية في العملية الانتخابية الديمقراطية، وفي الانتخابات المصرية فاز السلفية بالعشرات من الدوائر الانتخابية وخسروا في المئات منها، وكان للناخبين المصريين موقفان من مرشحي السلفية: القبول أو الرفض، وكل المصوتين لمرشحي الأخوان المسلمين والأحزاب الأخرى المتنافسة هم رافضون للسلفية وفكرها ومن يمثلها اليوم من المصريين، فهل هؤلاء كفار أيضاً؟

هنالك تناقضان صارخان في موقف السلفية من الروافض، الأول ناجم عن استثناءهم للرافضين لخلافة عثمان وعلي، والامتناع عن شمولهم بصفة الروافض وعن تكفيرهم أسوة برافضي خلافة الشيخين، والتناقض الثاني ناتج عن قبولهم بشرعية العملية الديمقراطية وهو اعتراف بحق الآخرين في الرفض، فلا يجوز لهم بالتالي تكفير الرافضة.

4 اذار 2012م

إذن هي الطائفية تعلو ولا يعلى عليها؟

جعل الله الدين لصالح البشر، ولم يجعل البشر لخدمة الدين، وحتى الأنبياء هم رحمة للعالمين، ولعل أعظم تكريم لبني البشر هي الحرية العقائدية والفكرية: (فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) (سورة الكهف:29)، ولله المثل الأعلى ، فعندما سأله الملائكة عن سبب خلقه الإنسان كان سؤالهم بصيغة أشبه ما تكون بالاستنكار والاحتجاج: (قال للملائكة إني جاعل في الارض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك) (البقرة: 30) ولكنه لم يكفرهم أو حتى يوبخهم، بل حرص على تقديم البرهان لهم على إن الإنسان، هذا المخلوق الجديد، يستحق الحياة، لأنه قادر على التعلم بقدرة الله، فكانت التجربة العلمية الربانية أن علم ادم الأسماء كلها ثم عرضها على الملائكة، فقالوا لا علم لنا، وعرضها على آدم فعرفها، آنذاك خاطبهم الخالق المعلم: ألم أقل لكم بأني أعلم غيب السموات والأرض.

نجد مثالاً اخر على هذا المنهج الرباني في تعامله سبحانه وتعالى مع عصيان إبليس، فعندما لم يسجد امتثالاً لأمر الله، لم يبطش به، بل سأله عن السبب، فلما أجابه الشيطان بانه أفضل من الإنسان، صدر الأمر الرباني بطرده وإبعاده (قال فاهبط منها)، بل وحتى استجاب لطلبه بأن ينظره إلى يوم يبعثون، ولكن الشيطان تمادى في غيه، فتوعد بان يغوي بني البشر (احتنكن ذريتهم) ليهلكهم، آنذاك فقط توعده الله بالخلود في النار: (ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس لم يكن من الساجدين * قال ما منعك ألا تسجد إذا أمرتك قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين * قال فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها فاخرج إنك من الصاغرين * قال أنظرني إلى يوم يبعثون * قال إنك من المنظرين * قال فبما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم * ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين * قال اخرج

منها مذءوما مدحورا لمن تبعك منهم لأملأن جهنم منكم أجمعين) (الأعراف: 11-18).

التطبيق العملي للتعامل الأمثل مع المخالفين والمعارضين نجده أيضاً في قصة الرسول الأعظم (ص) مع ذو الخويصرة برواية مسلم (ج2 ص744): (أن أبا سعيد الخدري قال بينما نحن عند رسول الله، وهو يقسم قسما أتاه ذو الخويصرة وهو رجل من بني تميم فقال يا رسول الله اعدل قال رسول الله ، ويلك ومن يعدل إن لم أعدل قد خبت وخسرت إن لم أعدل فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه يا رسول الله ائذن لي فيه أضرب عنقه قال رسول الله ، دعه).

نهى هذا الدين عن السب والشتم واللعن، بل نهى حتى عن سب آلهة المشركين لئلا يسبوا الله عدواً، وذلك من باب اللطف بالناس، حتى لا تتأصل العداوات في النفوس، ويتعصب المشركون لأربابهم، فيمتنعون عن الاستجابة للرسالة الربانية، والواجب على المسلم إذا سبه أحد أن يقول له سلاماً: (وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً) (الفرقان: 63) وكذلك الآية الكريمة: (وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين) (القصص: 55)

ولكن ماذا لو كفرت إنسان فرد علي بسب بعض مقدساتي، التي لا يعترف بها هو كمقدسات أصلاً، الا اكون قد خالفت الأمر الرباني لكوني قد حرضت ذلك الفرد على سب مقدساتي، فالمسلم منهي عن سب الأوثان بدءاً.

وشتان ما بين التكفير والسب، سواء سب الموتى أو الأحياء، المقدسون منهم أو غير ذلك، لأن التكفير حكم معجل أو مؤجل بالموت، وقد شهدنا وما زلنا نشهد فتك الفتاوى التكفيرية، التي شرعنت قتل النساء والأطفال والعزل لكونهم من طائفة اخرى.

وشتان ايضاً بين تظلم أغلبية المسلمين من سب الأقلية لهم وتظلم الأقلية من تكفير الأكثرية لهم، فالسب كما يقول المثل الانكليزي لا يكسر

عظامي، اما التكفير فقد لوث صفحات التاريخ بالأحمر والأسود إذ سول للحكام وغيرهم القتل والسجن والتعذيب والتنكيل والتهجير والنهب والسلب واغتصاب الأعراض والاضطهاد المتواصل للطوائف الصغيرة لأربعة عشر قرناً من الزمن.

المطلوب شجاعة فائقة لا مجرد سعة صدر في تقصي الحقائق، ومراجعة المواقف بموضوعية وتجرد وإنصاف، وقول الحق ولو على النفس والأقربين، والبديل هو أن نخرب بيوتنا بأيدينا بالاقتتال الطائفي، لتقر أعين الأعداء الواقفين على الأبواب، بل المستقرين في الديار.

16 تشرين الأول 2010م

اضفاء الوهابية على ملكهم السعودي صفات ربانية: هل هذا كفر أم ماذا؟

يدعي السلفيون الوهابيون بأنهم متفردون في فهم التوحيد، فهماً صحيحاً وكاملاً، وأن عبادتهم – وعلى خلاف بقية المسلمين – نقية من كل أنواع الشرك، كبيره وصغيره، ومنذ ظهور دعوة محمد عبد الوهاب كفروا كثيراً من المسلمين، بدعوى تشوه عقيدتهم بأفكار أو ممارسات شركيه.

من جوهر التوحيد انفراد الله بقدرات وصفات، فهو خالق كل شيء، وباسط الرزق، ونور السماوات والأرض، ومجرد اضفاء هذه الصفات على غيره مناقض لعقيدة التوحيد، تناقضاً صارخاً، وذلك من البديهيات، التي يدركها الفقيه وغيره. قال تعالى: (وَلِلّهِ الْمَثَلُ الأَعْلَىَ) [النحل:60]، أي لله الوصف الذي لا يشبه وصف غيره، لا شبيه ولا ند له.

بمحض الصدفة وجدت قصيدة غنائية منشورة في مواقع سعودية، وهي من تأليف الشاعر بدر بن عبد المحسن، وغناء المطرب السعودي الشهير محمد عبده، وتخاطب القصيدة الملك السابق فهد بمناسبة تعافيه من عملية جراحية، وأعيد نشرها وبثها لدى عودة الملك الحالي عبد الله من رحلته العلاجية الأخيرة.

نص القصيدة الغنائية كما يلي:

سلامتك يا شمس الأرض و قمرها
و نور النجوم اللي عليها مراقيب
سلامتك يا سمع الأرض وبصرها
يا سيد الملوك العرب و الأجانيب
سلامتك يا وجه الأرض و نحرها
يا خادم البيتين و أغلى المعازيب
سلامتك يا عشب الأرض و زهرها
يا ماطر الرحمة ويا منقع الطيب

أرض الجزيرة كود مالك ذعرها
لو هو تعب يحميك من يعلم الغيب
واللي خلق روحك ونفسك أمرها
بالخير و نلنا بك أعز المطاليب
ما سار فوق ترابها من بشرها
مثلك زعيمٍ صادقٍ رأيه مصيب

تصف القصيدة ملك السعودية، سواءً السابق أم الحالي، بأنه الشمس والقمر ونور النجوم، ويفهم من ذلك بأنه نور الأرض، وربما السموات أيضاً، لأنه موصوف بنور النجوم، أي مصدر أو خالق نورها، وهي صفة ينفرد بها الله، كما ورد في الآية الكريمة التالية: (اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) [النور:35]، وبما أن الله قد شهد في قرآنه بانتفاء تعدد الآلهة: (لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ) [الأنبياء:22]، وفي آية آخرى: (مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذاً لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ) [المؤمنون:91]، وهذا يقود إلى نتيجة هي: أما أن يكون الله أو الملك السعودي نور السموات والأرض، ومن الواضح أن المسلمين من غير السلفيين الوهابيين يؤمنون بأن هذه صفة لله وحده أما المؤسسة الوهابية الحاكمة في السعودية التي تبث هذه الأغنية واتباعها الذين يرددونها شفاهة أو تحريراً فهم –وإن انكروا ذلك - يجاهرون بأن الملك السعودي هو نور السموات والأرض.

ولنتذكر أن من غير المقبول لديهم القول بأن الرسول الأعظم مخلوق من نور لأنهم يعدون ذلك تكذيباً للقرآن الكريم: (قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ) [الكهف: 110] ، كما أن الله سبحانه اقسم بالشمس والقمر والنجم، فهل يجوز بعد ذلك وصف الملك الوهابي بأنه الشمس القمر ونور النجوم؟

في البيت الثاني من القصيدة يوصف الملك السعودي بأنه " سمع الأرض وبصرها"، أي طول وعرض الأرض، كما يفسرها القاموس، ولو عرضنا ذلك

على القرآن الكريم أيضاً، لبرزت لنا إشكالية خطيرة، إذ أن البيان الرباني ينفي بلوغ الإنسان الجبال طولاًَ (وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً) [الإسراء:37] ووصف الملك السعودي بأنه طول وعرض الأرض يعني بالضرورة أنه يبلغ الجبال طولاً، وهذا تكذيب للقرآن الكريم.

ملكا السعودية في تقدير الشاعر الوهابي "عشب الأرض وزهرها"، يعني أنهما يختزلان كل الرزق الناتج عن الأرض وما ينبت فيها من محاصيل وثمار، ولو أحد من المسلمين وصف الرسول الأعظم بهذه الصفة لأتهمه السلفيون بالغلو على الأقل.

ولكنهم لا يتوقفون عند ذلك بل يذهبون إلى آخر المدى في وصفهم لملكهم بأنه "ماطر الرحمة"، وفي القرآن الكريم خطاب للبشر بصيغة سؤال: (أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاء الَّذِي تَشْرَبُونَ أَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ) [الواقعة:68-69] وجواب المسلمين على ذلك هو أن الله هو الذي ينزل المطر من السحاب، وهو مصدر الرحمة وكل أنواع الرزق، ولكن السلفيين الوهابيين يرون بأن ملكهم هو ماطر الرحمة.

في البيت الأخير من القصيدة المغناة يستمر شطط الوهابية فنقرأ أو نسمع:

ما سار فوق ترابها من بشرها
مثلك زعيمٍ صادقٍ رأيه مصيب

تنطبق صيغة الجملة على الزمن الماضي والحاضر، والتراب فيها إشارة إلى أرض المملكة، وبالتالي يقصد بالبشر جميع الناس الذين ساروا في أرضها، بما فيهم السلف، وهنا لا نجد استثناءات تشمل مثلاً الرسول الأعظم ونساءه وأهل بيته وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان، أي كل السلف الصالح لدى الوهابية السلفية، ومن يقرأ هذا البيت يفهم من ظاهر الوصف بأن قائله ومغنيه

ومردده يعتقدون بأن الملك الوهابي أصدق وأصوب رأياً من هؤلاء جميعاً وغيرهم.

قد يرد أحدهم بأن كلام الشعراء ضرب من الهزل، لا يخلو من المبالغة، ولا يؤخذ مأخذ الجد، والجواب هو أن قضاة الوهابية في السعودية حكموا على حلاق تركي يعمل في السعودية قبل سنين قلائل بالقصاص لأنه سب الذات الإلهية، علماً بأن تلك عادة دارجة بين سوقة العرب، وربما الأتراك أيضاً، وقد سمعتها مراراً وتكراراً من مسلمين في سورية ولبنان وغيرها، وهم يكررونها من دون ادراك لحرمتها، ولولا تخوف حكومة آل سعود من ردود الفعل التركية لقطعوا رأس المواطن التركي، ولنتذكر أن الطلاق عند الوهابية يقع حتى لو كان على سبيل المزاح، فهل يجوز الهزل في وصف ملك آل سعود بصفات ربانية ولا يجوز في الطلاق وغيره؟

لو قرأ سلفي وهابي هذا المقال فقد يحتج بأن الوصف في القصيدة الغنائية مجازي لا فعلي، ولكنهم أنفسهم يرفضون مثل هذا التبرير من مخالفيهم، ومن المعروف بأن السلفيين الوهابيين يأخذون بظواهر النصوص، فقد قال علماء الوهابية في آيات الصفات: (نقر آيات الصفات وأحاديثها على ظاهرها) [كتاب الدرر السنية، الجزء الأول، ص226] وهنا أيضاً طبقنا هذا المبدأ في فهم نص القصيدة، كما أن الصفات لم تورد على سبيل التشبيه مثل ما جاء في الحديث الموضوع

(أصحابي كالنجوم) بل النص يفيد التماثل والتطابق، أي أن الملك السعودي هو الشمس لا كالشمس وهو القمر لا مثل القمر وهو نور النجوم لا أشبه بنورها.

ليس الهدف من هذا المقال تكفير السلفية الوهابية، لأن تكفير المسلمين من اختصاصهم، ولكني أردت بيان فساد منهجهم وأسلوب تفكيرهم، وأمامهم خياران فأما التراجع عن هذا المنهج الخاطئ أو الشهادة على أنفسهم بما يقتضيه هذا المنهج وبدليل القصيدة الغنائية التي تبثها إذاعتهم ويرددها أتباعهم، وما تتضمنه من بدع وغلو وضلالات وشرك بالله، والله أعلم.

27 كانون الثاني 2012م

أيها الإرهابيون من سينجيكم من غم موسى؟

النبي موسى مغموم، عجباً كليم الله يغتم، وهو المؤيد بأنواع المعجزات، فماذا دهاه لكي يقع في الغم؟

لأن موسى قتل نفساً، هكذا يخبرنا القرآن الكريم:

[وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ] (طه: 40)

ارتكب موسى القتل بعد اصطفاءه، فهو مختار منذ الولادة، وبعد أن أتاه الله الحكم والعلم:

[وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِ] (القصص:14-15)

يبدأ سرد وقائع الجريمة بالتذكير بأن النبي المختار المحسن ذي الحكمة والعلم الرباني، أي أفضل البشر على وجه الأرض قاطبة، دخل المدينة فوجد رجلين يقتتلان، فما الذي حدث بعد ذلك:

[فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ] (القصص:15)

اصطف موسى مع الرجل من شيعته فقضى على عدوهما، موسى وشيعته مؤمنون، والمقتول كافر، فهل ارتفع صوت النبي وصاحبه بالتكبير؟ وهل استحق موسى بفعلته أفضل الثواب من الله؟ بل العكس تماماً، وبشهادة القرآن الكريم:

[قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ] (القصص:15**)**

[قالَ فَعَلْتُهَا إِذاً وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ] (الشعراء: 20)

امتدت يد موسى لتقتل، وتحت تأثير الشيطان المضل، وهو حكم النبي على نفسه، وهذا شرط ضروري لطلب المغفرة:

[قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ] (القصص:16)

مقابل الغفران وغيره من النعم قطع النبي على نفسه عهداً:

[قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَا مُوسَىٰ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِن تُرِيدُ إِلَّا أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ] (القصص:17-19)

كاد النبي أن يكرر فعلته بالأمس، تحت تأثير التحريض والعصبية العمياء، لولا أن جاءته موعظة، وممن؟ من الفرعوني!

نقلوا عن بعض المفسرين القدامى وأتباعهم في الماضي والحاضر بأن موسى اغتم بسبب خوفه من عقاب السلطة الفرعونية لا من كون قتل الفرعوني خطيئة، وهم بذلك يناقضون الحقائق القرآنية الواضحة، ويتغافلون عن طلب موسى المغفرة واعترافه على نفسه أمام فرعون بأنه كان ضالاً عند اقترافه للجريمة، فما أشبههم بالشيطان المضل.

ربما يود البعض لو لم يأتي القرآن الكريم على هذه الواقعة، لأنها تظهر ضعف نبي عظيم أمام غواية الشيطان، ولو لم تكن هنالك فائدة عظيمة من هذه القصة لما بينها الله في كتابه العظيم، فما هي هذه الفائدة التي حاول المفسرون المضللون اخفاءها؟ هي باختصار أن قتل النفس البشرية، حتى لو كانت كافرة مثل الفرعوني، وخطئاً لا عمداً كما في فعل موسى، خطيئة كبرى من عمل الشيطان، تستوجب الاستغفار والدليل استغفار موسى، وتترتب على مقترفها معاناة دنيوية كما حدث لموسى إذ اضطر للتغرب في مدين لسنين.

النجاة تعني الخلاص من الموت أو خطر عظيم، ويصف القرآن الكريم خلاص موسى من غم قتل الفرعوني الكافر بأنه نجاة، وهذا دليل على جسامة هذا الغم، والله هو الوحيد القادر بقبوله الاستغفار على أن ينجي الإنسان من غم القتل.

في العراق وسورية ولبنان وأفغانستان وباكستان واليمن ومصر وليبيا وتونس والجزائر ومالي ونيجيريا والصومال يقترف الإرهابيون مجازر بربرية، أغلب ضحاياهم مسلمون رافضون لتسلط الإرهابيين وعقيدتهم ما دون البهيمية، فإذا كان قتل كافر من غير عمد فعل شيطاني، ترتب عليه استغفار مرتكبه، ولو كان نبياً من أولي العزم، وبقاءه في المنفى بعيداً عن أهله سنين عديدة، ولو لم يفعل ذلك لما نجاه الله من غم القتل، فأي غم ثقيل ينتظر

أتباع داعش والنصرة والقاعدة وأنصار الشريعة والشباب وبوكو حرام وأمثالهم ومن والاهم أو ساندهم بالقول أو الفعل أو سكت على جرائمهم؟ ولأنهم قتلوا مسلمين ناطقين بالشهادتين وغيرهم عمداً وإصراراً فلا غفران لهم في الدنيا والآخرة، ولينتظروا أعظم الخزي في الدنيا ولهم في الآخرة غضب من الله وعذاب عظيم.

(للإسلام غايتان عظمتان هما الإحياء والإصلاح ووسيلة كبرى هي التعلم)

29 آب 2014م

الغزو الثقافي الأمريكي المفسد: تجربتي مع كلية بغداد والجامعة الأمريكية في بيروت

قضيت أحد عشر سنة طالباً لدى الأمريكان، خمسة منها في كلية بغداد، أكملت فيها مرحلتي المتوسطة والثانوية، التحقت بعدها بالجامعة الأمريكية في بيروت، وحصلت منها على شهادتي البكالوريوس والماجستير، الهوية الثقافية للكلية والجامعة أمريكية صرفة، والدليل هو أن منهجهما التدريسي والكتب التدريسية واسلوب عملهما مماثل إن لم يكن مطابقاً لمثيلاتهما في أمريكا، كما أن معظم الكادر التدريسي فيهما أمريكي الجنسية، وتتميز كلية بغداد بكونها مؤسسة يديرها رهبان من الكاثوليك اليسوعيين، أما الجامعة الأمريكية التي أسسها رجال دين مبشرون ينتمون للمذهب البروتستانتي فلم تعد صفتها الدينية التبشيرية بارزة أثناء فترة دراستي فيها في أواخر الستينات وأوائل السبعينات من القرن الماضي.

التحقت بكلية بغداد في أوائل الستينات، وأغلبية طلاب الكلية المسلمين من أولاد بقايا العثمانيين، الملكيون منهم والجمهوريون، وكلا الفريقين متفقان على احتقار أهل الجنوب باعتبارهم معدان متخلفين حضارياً ومنحرفين دينياً، وكنت المستهدف بسخريتهم ومضايقاتهم، لمجرد كوني معيدياً شروقياً من أهل الجنوب، وتحاماني أبناء الجنوبيين "المتحضرين" كذلك، لأن والدي لم ينزع الشماغ والعقال مثل آبائهم، ووالدتي لم تخلع عباءتها وعصابة رأسها مثل أمهاتهم، ولعقدة نقص متأصلة في نفوسهم تودد هؤلاء لزملائهم البغداديين بالانتماء للأحزاب "المتمدنة" الآتية من وراء الحدود، فانضموا لحزب البعث، وأخمن بأن عادل عبد المهدي، (المنتفجي المتحضر) وأياد علاوي، الطالبين في الكلية، على هذه الشاكلة مع أني لم أعاصرهما، أما أنا فقد كنت ولا أزال متمسكاً بالدين ما استطعت، فهو قلعتي وملاذي.

في حينها كان نفر قليل من طلاب المدرسة، يعدون على أصابع اليد الواحدة، يتسللون من المدرسة، ليصلوا الجمعة، أو هكذا كانوا يدعون، فتجرأت على طلب الإذن من إدارة الكلية، للسماح لي بمغادرة المدرسة لأداء صلاة الظهر في الكاظمية، أسوة بهم، فجاءني الجواب باستدعائي من قبل مدير الكلية، واسمه الأب باورز (ومعنى كلمة باورز باللغة الإنجليزية القوة لذا كان الطلاب من وراء ظهره يسمونه أب القوة)، وفي الموعد المحدد قرعت بابه فانفتح الباب، كان ذلك أول باب يفتح إلكترونيا رأيته في حياتي، قال لي المدير: أنت شاب طيب ومهذب وقد فوجئنا بطلبك الخروج لأداء الصلاة، وإن كنت مصراً فلن أعارض، فهمت من كلامه بأن الطيبة والتهذيب لا تتفقان مع صلاة المسلمين، ونسي الأب المدير بأن الأكثرية المطلقة من العراقيين مسلمون، وبأننا نحن طلابه المسلمون في كليته نقف ست مرات يومياً، عند بدأ كل درس، وبكل أدب، لنستمع من دون مشاركة للطلاب المسيحيين، وهم يرددون صلاة أبانا الذي في السموات، ولم نعترض، مع إننا لا نؤمن بكلمة واحدة مما تتضمنه، ولم يقل أحد منا بأن الصلاة تنهى عن الطيبة والتهذيب. تعمدت الخروج مرات عدة للصلاة لكي أثبت للأب باورز بأن القوة والعزة لله جميعاً.

بعد كلية بغداد الأمريكية جاء دور الجامعة الأمريكية في بيروت في 1965م، ومن المعروف بأن بعض خريجي الجامعة خدموا المصالح الغربية بإخلاص منقطع النظير، فكافأهم البريطانيون والفرنسيون والأمريكان بتقليدهم أرفع المناصب في بلدانهم، كما كانت الجامعة مفرخة للحركات السياسية العربية العلمانية الفاشلة، وكلها تتفق على نبذ الحضارة الإسلامية الأصيلة أو توظفها لخدمة أهدافها وأيديولوجياتها المستوردة، وكنت ولا أزال أرى للتأثير الثقافي الأمريكي المفسد دوراً في تشويه فكر تلك النخبة، تردد مؤسسو تلك الحركات مثل عفلق والحوراني على المقاهي المحيطة بالجامعة، وجالسوا قادة الحركات الطلابية فيها، فمن أروقتها ظهرت حركة القوميون العرب، برئاسة جورج حبش، وانخدع بشعاراتها البراقة بعض طلابها، وأتذكر بأن عدداً من الطلبة الخليجيين، وجلهم من البحرين، تحمسوا بفعل

تحريض هذه الجماعة، فتركوا الأهل والوطن وشدوا الرحال إلى ظفار في عمان، ليشاركوا في العمليات المسلحة المناوئة لسلطان عمان، وكان من بينهم فتيات جامعيات، هنالك واجهتهم مشكلة شح الخيم، فماذا تراهم فعلوا؟ تروي إحدى المشاركات بأن الرفاق استأثروا بالخيم وفرضوا على الرفيقات المبيت في العراء، ومما تسبب بإصابتها بمرض رئوي، وقد توفيت هذه السيدة قبل أعوام في العقد الخمسين من عمرها.

تنافس القوميون العرب مع الناصريين والبعثيين على عقول وقلوب الطلبة العرب في الجامعة الأمريكية، وحتى الشيوعيين حضروا بإعداد قليلة، وهنالك انضم لحزب البعث العراقيان الجبوري وحمادي، اللذان استوزرا في عهد الطاغية صدام وخدماه بإخلاص، والغريب أن الكثير من الأيديولوجيين الذين زخرت بهم مقاعد الدراسة لم يثبتوا على مبادئهم، فقد تحولوا بعد التخرج إلى موالين مخلصين لنظم الحكم التسلطية والرجعية، ومنهم كان السعودي البعثي الذي ما أن رقوه للدرجة الممتازة حتى صار يسبح بحمد آل سعود طويلي العمر، كما زاملت عراقي شيوعي انقلب بعثياً بعد عودته إلى العراق، ومع أني اخالفه في العقيدة، فقد حزنت عندما التقيته بالصدفة في موقف سيارات المركز القومي ببغداد، الذي غدا بفضل انقلابه الأيديولوجي مديراً عاماً له، فأخبرني بأنه في طريقه للتدريب مع الجيش الشعبي، وفتح صندوق سيارته ليريني رشاشة الكلاشنكوف بعهدته، بعد ذلك بلغني في منفاي خبر القبض عليه بتهمة التخابر مع الأمريكان، وقيل بأنه خرج من السجن مقعداً.

لا يخفى على أحد بأن مؤسسي الجامعة الأمريكية مبشرون منتمون للمذهب البروتستانتي، وتتوسط الحرم الجامعي كنيسة ضخمة، وهذا شأنهم، بشرط احترام ديننا، ولكنهم لم يفعلوا، في الخمسينات جاؤوا بأستاذ ليسب الإسلام، ولولا إضراب الطلاب المسلمين والضجة الكبيرة التي أثارها الموضوع لما استغنوا عن خدماته وأعادوه لأمريكا، وفي أيامي كان شارل مالك رئيساً لقسم الفلسفة، وهو وزير خارجية لبناني ورئيس وفدها للأمم المتحدة سابقاً، تردد سمير جعجع على مجالسه ويعتبره اباه الروحي، وهل

هنالك شهادة أسوء من هذه الشهادة؟ قيل وقتها بأن شارل مالك كان وراء تنصر أحد أساتذة قسم الفلسفة المسلمين، تلك كانت أيام حرب فيتنام، ومعظم الناس، بل معظم الأمريكان، كانوا معارضين للحرب، إلا الجامعة الأمريكية وأستاذها المدلل شارل مالك، وبعد توقيع الدكتور صادق جلال العظم على عريضة احتجاج على حرب فيتنام طرده شارل مالك من الجامعة الأمريكية، ولم يفلح اعتراض الطلاب في ثني الجامعة عن قرارها التعسفي، وإذا كانت المؤسسات الأكاديمية الأمريكية تحظر على أساتذتها ممارسة حرية الرأي فلا بد من الاستنتاج بأن ادعاء الأمريكان احترام الحريات والحقوق أجوف.

طردوا صادق جلال العظم، الذي كنت أختلف تماماً مع أفكاره، وجاؤوا لنا بأستاذ امريكي، لتدريس مادة الحضارة، وفي محاضرة له عن ملحمة جلجامش السومرية قال بأن جلجامش وصديقه أنكيدو شاذان جنسياً، ويبدوا بأن الرجل أو شبه الرجل الأمريكي يظن بأن كل الرجال على شاكلته، فلا غرابة أن تعترف بعض الولايات الأمريكية باقتران الشاذين والشاذات.

مرضت يوماً فراجعت المستوصف المخصص للطلاب، وكان اسم الدكتور المناوب مطابق لإسمي العائلي، أي عطية أيضاً، فسألني من أي البلاد أنت، فأخبرته بأني عراقي، فسألني إن كان فلان العطية يقربني؟ فأجبته بأنه ابن عمي، وقد سبقني إلى الدراسة في الجامعة بسنوات، فقال لي بأنه تعرف عليه لأنهما كانا يجلسان على مقعدين متجاورين في الكنيسة أيام الأحد، واستغربت يومها حضور ابن عمي العضو في حركة القوميين العرب قداس الأحد، فاستفسرت، وجاءني الجواب بأن حضور كافة الطلبة لعظة الأحد كان إجبارياً.

لا يتسع المجال لبيان كافة أنشطة الجامعة المخالفة لقيم وأعراف مجتمعنا العربي، والتي استنكرها اللبنانيون الأكثر تحرراً وتغرباً، ولكن أكتفي بالكشف عن حقيقة خافية على كثيرين من طلابها، وهي تجسس الجامعة على طلبتها وتزويدها جهات خارج الجامعة بالمعلومات عن الميول السياسية لطلابها، وقد بلغني بأن مدير أحد البنوك اللبنانية طلب من إدارة الجامعة

في حينها، أي بداية السبعينات من القرن الماضي، تزويده بما لديها من معلومات عن نشاطي السياسي فأخبروه بأن حامد العطية "ثوري" ، والحمد لله فلم أنتمي لحزب ابداً، ولا زلت مسلماً عربياً ثورياً، أرفض هيمنة الأجانب الأمريكان وغيرهم، وأعارض الحكومات الظالمة والمضطهدة، وأناصر كل المؤمنين المخلصين لدينهم والوطنيين الثابتين على وطنيتهم.

قرأت مؤخراً بأن الجامعة الأمريكية في القاهرة ترفض إنشاء مصلى للطلاب داخل الجامعة، فالكنيسة حلال عليهم في لبنان والمسجد حرام علينا في مصر، فماذا سيفعل الأمريكان لو تمكنوا من إتمام سيطرتهم على العراق؟

تلك كانت لمحة مقتضبة من التأثير الثقافي المفسد لمؤسستين تربويتين، زرعهما الأمريكان في مجتمعاتنا، فأنبتتا ثماراً مرة، ونحن نشهد اليوم توالد جامعات أمريكية آخرى، في القاهرة والشارقة وبيروت والدوحة ومؤخراً في العراق، وأخشى من تفشي جراثيمها في فكر أجيالنا الحالية والقادمة، فقد اكتفينا من سموم وتخريب الرجعية والبعثية والقومية واليسارية، والعارفون بأمريكا مدركون بأنها ليست مفلسة اقتصادياً فقط، بل وسياسياً واجتماعياً وثقافياً، وسيكون ربط مصير العراق بهذا المجتمع المفلس المفسد من خلال توقيع اتفاقية أمنية معه مدخلاً لنشر سموم "الثقافة" الأمريكية الفاسدة في مجتمعنا، وهو أعظم الكبائر المحرمة في حق العراق وأهله والإسلام والعروبة والقيم والأخلاق السامية.

20 تشرين الثاني 2008م

ما هكذا السمو يا "صاحب السمو" السعودي الوليد بن طلال

سما بمعنى ارتفع، والسمو الارتفاع والعلو، ومنه السماء، ويسمو الفرد عندما يتميز عن غيره ويعلو عليهم.

لكي يجتمع الغنى والسمو يجب أن يكون المرء على النقيض من قارون الذي كان غنياً ولكنه أبتعد عن السمو مدعياً ما لله لنفسه ومكنزاً الذهب والفضة وممتنعاً عن الإحسان لغيره، فكان جزاؤه هو وداره الخسف، والخسف هو نقيض السمو.

في بابل بأرض الرافدين نقرأ عن برج بابل الذي شيدوه ليبلغوا السموات، فابتلاهم الله ببلبلة الألسن، فلا تجد له اليوم اثراً.

تسامى فرعون بالسلطة والثروة والبنيان، فادعى لنفسه الربوبية، استخفافاً بقومه فأطاعوه، وقاس المكانة بالثروة، لذا عاب على موسى عليه السلام عدم امتلاكه أسورة، وشيد فرعون هرماً عملاقاً ليكون سفينته التي يسمو بها إلى أرض الخلود بعد الممات، ولو امتلك عقلاً راجحاً لأدرك بأن سفينته الحجرية ستهوي به إلى أعماق الجحيم، وقد غرق بالفعل كما يخبرنا القرآن العظيم.

ليس السمو في السلطة المطلقة لأنها تفسد بالمطلق.

وليس السمو في الثروة الفاحشة فما أكثر الأثرياء الفاحشين.

وليس السمو في البنيان الشاهق إذا كان المتطاولون في البنيان أحفاد العراة الحفاة رعاة الغنم.

ولو اجتمعت السلطة المطلقة مع الغنى الفاحش والبنيان الشاهق كما لفرعون لما تحقق السمو أيضاً.

يلقب الوليد بن طلال كما بقية أمراء آل سعود من أبناء وأحفاد عبد العزيز بـ "صاحب السمو"، وهو لقب مكتسب بالوراثة لا الجدارة، وعندما انحاز أبوه طلال للنظام الناصري لم يعد "صاحب السمو"، بل استحق لعنات أقربائه وأتباعهم.

"صاحب السمو" الوليد ثري جداً، مثل قارون وفرعون، وهو يقر بأن نواة ثروته أموال حصل عليها بسبب مكانته العائلية، وفي هذا هو شبيه بفرعون الذي استحوذ على ثروات شعبه، ولكن الوليد يدعي بأنه استثمر ذلك المال بعلمه ومهاراته ليصنع منه ثروة ضخمة، وفي ذلك يضاهي ادعاء قارون: " إنما أوتيته على علم عندي" (القصص: 78) .

بالأمس القريب أعلن "صاحب السمو" الوليد البدء بتشييد أعلى مبنى في العالم في مدينة جدة بالسعودية، وتبلغ تكلفة البرج مليار ومئتي مليون دولار.

تزامن الإعلان عن البرج السعودي الشاهق مع تفشي المجاعة في القرن الأفريقي والتي تنذر بهلاك الألاف من المسلمين جوعاً وعطشاً، وحتى بداية رمضان بلغ عدد ضحايا المجاعة في الصومال من الأطفال فقط ثلاثين الفاً، ولو وضعنا جثامينهم فوق بعضها البعض لزاد ارتفاع الركام على ميل واحد، وهو الارتفاع المخطط لبرج الوليد، ولكن ركام الموتى في الصومال في ارتفاع مستمر، خاصة وان حركة الشباب السلفية ذات الجذور الوهابية تمنع وصول المساعدات الإنسانية إلى المناطق المنكوبة تحت سيطرتها.

نقول لـ "صاحب السمو" لو تركتم أهل الصومال والقرن الأفريقي لشأنهم من دون نشر الوهابية السلفية بين صفوفهم لما اشتدت وطأة المجاعة عليهم، ولكنك يا "صاحب السمو" وكل "أصحاب السمو" لا ترحمون ولا تريدون نزول رحمة الله على سواكم.

في جنوب العراق عندما ينتهي فلاح فقير من تشييد بيته الطيني المتواضع يضحي بشاة شكراً وحمداً لله، ويوزع لحمها على جيرانه، أو يولم لهم، وأجزم بأن كلفة بيت الطين لا تزيد كثيراً عن ثمن الشاة، فهل سيتبرع

"صاحب السمو" بمبلغ يوازي أو يقل قليلاً عن كلفة البرج الشاهق للمسلمين الجائعين في القرن الأفريقي؟ لو فعل ذلك لكان بمستوى ورع وتقوى وكرم عراقي جنوبي فقير.

يا "صاحب السمو" الوليد بن طلال، ليس بالقوة أو الثروة أو البنيان الشاهق يسمو الإنسان، وإنما بالإيمان والعلم والعدل والقيم الإنسانية والأخلاق الحميدة وبالتواضع.

أما برجك الشاهق، والله وحده يعلم الغيب، فلن أعجب لو كان مصيره واحد من ثلاثة: أن يقع الخلاف وتحل الفرقة بين الشركاء في المشروع فلا يكتمل البناء كما حدث للبرج البابلي، أو أن يخسف الله به كما خسف بدار قارون، أو أن يكتمل البرج لكن أصحابه يهلكون - غرقاً أو بغيره من الأسباب - كما كان مصير فرعون وشعبه ، فهل من متعظ؟

29 آب 2011م

في خضم ثورة العرب المحرومين حفلة زفاف سعودية بثمانية عشر مليون ريالاً

في الوقت الذي كانت فيه أنظار العرب متسمرة إلى شاشات التلفاز، يتابعون مظاهرات الشعب التونسي الصاخبة بشغف، ويرددون مع المتظاهرين هتافاتهم المطالبة بالخبز والحريات، ويلعنون الطغاة كلما شاهدوا النار مشتعلة في جسد البوعزيزي، وبعد انتصار التونسيين العزل على شرطة وعسكر النظام، واجبارهم الطاغية بن علي على الفرار إلى ملاذه الآمن في السعودية، وفي تلك الأيام التاريخية التي انتقلت فيها عدوى مظاهرات العرب المحرومين إلى مصر والجزائر وموريتانيا والأردن وحتى السعودية أقيم حفل زفاف في السعودية.

لم يكن حدثاً خارجاً على المعتاد، لم تتناقل خبره وكالات الأنباء، ولم تدعى لحضوره شخصيات سياسية معروفة، وشتان ما بينه وبين زواج عبد العزيز بن فهد، الذي سبقه بأسابيع، ولن تجده في كتاب جينيس للأرقام القياسية، ولم يكن الزوجان من الأمراء، أو حتى من عائلتين معروفتين، وإن كانت ثروتيهما من أفضال آل سعود، التي يغدقونها على المحاسيب، مقابل حصة الأسد من العوائد بالطبع.

أقيم الحفل في مدينة الخبر السعودية، من دون اختلاط بين المدعويين من الرجال والنساء، للرجال قاعة والنساء في قاعة مجاورة، أحيا – أو بالأحرى أمات - الحفل مغني سعودي مشهور، غنى من وراء ستار حاجب بينه وبين النساء، لذا اقتصر احتمال الافتتان به على الصوت فقط.

دام حفل الزفاف سويعات، بدأ مع الغروب، وانتهى مع الفجر، تناول المدعوون طعام الإفطار، ثم انصرفوا إلى قصورهم، ليأخذوا قسطاً من النوم، بعدها حضرت شاحنات القمامة لتنقل أطنان الطعام والحلويات الفائضة من ولائم الحفل.

ثمانية عشر مليون ريالاً، أو خمسة ملايين دولار أمريكي تقريباً، تلك كلفة الحفلة، التي تحملها أهل العروسين، ولا تشمل أثمان هدايا المدعويين للعروسين، والملابس الفاخرة التي ارتدوها للحفل، والمشتراة بألاف الدولارات من محلات الأزياء الشهيرة، وفي ذلك اليوم أيضاً اكتظت محلات تصفيف الشعر، في الخبر والدمام والبحرين، بالسيدات المدعوات للحفل، وكان النقص متوقعاً، لذا استقدموا مصففين مشهورين من بيروت وغيرها، فكرة واحدة انشغل بها عقل كل مدعوة للحفل ذلك اليوم: كيف سأبدو - من دون العباءة والحجاب والنقاب بالطبع - في ملابسي الفاخرة ومجوهراتي الثمينة وتصفيفة شعري الجديدة في نظر المدعوات الاخريات؟

ثمانية عشر مليون ريالاً أو خمسة ملايين دولار مبلغ كاف لإغاثة عشرة آلاف عائلة مسلمة فقيرة لمدة عام كامل، أو كفالة خمسين ألف يتيم مسلم لعام أيضاً، ولا أظنهم يجهلون أن حوالي أربعين من المائة من المسلمين دون خط الفقر، وأن هنالك ما يزيد على ستين مليوناً من العرب الفقراء، ولو أن أحداً ذكرني بأن أصحاب الحفل سعوديون، لا يدرون ما هو الفقر، ومفترضاً أن لا فقر في السعودية فسيكون مخطئاً تماماً.

ذكر التقرير السنوي الشؤون الاجتماعية الذي عرض على مجلس الشورى السعودي في 2009م أن عدد الفقراء في السعودية هو ثلاثة ملايين، وقد فوجأ بعض أعضاء مجلس الشورى بهذا الرقم الهائل، فاستغربوا واستنكروا، ولكني لم أتعجب، فقد عملت سابقاً في حقل الاستشارات بالمملكة، وبالذات مع وزير الشؤون الاجتماعية الدكتور يوسف العثيمين، عندما كان أميناً عاماً لمؤسسة الملك عبد الله للإسكان التنموي، وكنت مكلفاً من المشرف على المؤسسة وزير الثقافة والإعلام السابق ومن قبلها الحج الاستاذ إياد مدني بإعداد الاستراتيجية طويلة المدى للمؤسسة، ويومها كانت علاقتي بالوزير العثيمين ودية، ولكن لأسباب يعرفها هو فقط قطع علاقته بي قبيل استيزاره، الذي تزامن مع خروج الأستاذ مدني المفاجئ من الوزارة.

بعد العاصفة من التعليقات المستنكرة والمستغربة صرح الدكتور العثيمين بأن عدد الحالات المستفيدة من برنامج الضمان الاجتماعي هو

ستمائة الف فقط، وهو وأنا نعرف جيداً بأن النتيجة واحدة، إذ المقصود بالحالات هو العوائل السعودية الفقيرة، وفقاً لتعاريف برنامج الضمان الاجتماعي، ولو افترضنا أن كل عائلة مكونة من خمسة افراد، أي أبوان وثلاثة أبناء، وهو بالحد الأدنى، لا المعدل، لكان الناتج ثلاثة ملايين فقير في السعودية.

ومن المهم أيضاً معرفة نسبة الثلاثة ملايين فقير سعودي إلى مجموع السكان، ولو اعتمدنا المصادر الرسمية التي تقدر عدد سكان السعودية بثمانية وعشرين مليوناً، منهم ستة ملايين مقيم غير سعودي، لكانت نسبة الفقر 13.6%، وهي نسبة عالية جداً لبلد نفطي غني مثل السعودية، ولكن هل هي النسبة الحقيقية؟ يعتقد كثير من السعوديين بأن الإحصاءات الرسمية لعدد السكان غير صحيحة، تضخمها حكومتهم لأسباب سياسية، لأنها تخشى ناتج عملية قسمة العوائد النفطية على عدد السكان الحقيقي، والذي سيكشف فجوة كبيرة بين الدخل الفردي الناتج والفعلي، ولكي نستدل على الرقم الحقيقي لعدد السكان ينبغي البحث عن مصادر غير مباشرة، وجدتها قبل سنوات قليلة في عدد طلاب المدارس، في حينها كان عدد الطلاب المسجلين في المدارس وفقاً للمصادر الرسمية خمسة ملايين طالب، ولو أخذنا في الاعتبار أن 60 بالمائة أو أكثر هم دون العشرين من العمر في دولة نامية مثل السعودية لتوصلنا إلى تقدير عدد السكان بحوالي إثنى عشر مليوناً تقريباً، وهذا يعني أن نسبة الفقر في السعودية هي 25%، وهي نسبة مرعبة، ولكنها بتقديري أقرب للواقع من الإحصاءات الرسمية المنخفضة (13.6%) وكذلك من أحد التقديرات المائلة إلى الارتفاع (40%).

هل خطر ببال أهل العروسين ومدعويهم في تلك الليلة الهموم المعيشية المؤرقة لمئات الملايين من فقراء العرب والمسلمين أو حتى لثلاثة ملايين سعودي عربي مسلم فقير؟ كلا لأنهم مبذرون، والمبذرون أخوان لا للعرب ولا للمسلمين بل للشياطين.

25 كانون الثاني 2011م

من يقتل أطفال الصومال جوعاً؟

قبل سنوات سجل أحد المصورين مشهداً مفجعاً في القرن الأفريقي، صورة لطفل ذوى جسمه، حتى ترى هيكله العظمي تحت جلده، يزحف باتجاه مخيم للاجئين، املاً بلقمة تنقذه من الهلاك، لم يسعف المصور الطفل الجائع، ويقال إنه انتحر بعد ذلك بزمن قصير.

عادت المجاعة إلى القرن الأفريقي، وكل يوم تطالعنا صور لأطفال يتضورون جوعاً، والعالم مثل ذلك المصور لا يفعل الكثير من أجل وقف الكارثة، التي تحصد يومياً أرواح العشرات وربما المئات من الأطفال.

اثناء زيارة رئيس الوزراء التركي للصومال صرح بأن المجاعة امتحان كوني، وقد اصاب واخطأ في ذلك.

هو مصيب لأن العالم كله يتحمل مسئولية إنسانية واخلاقية لإنقاذ سكان القرن الأفريقي من المجاعة، والمسئولية مضاعفة على الدول الغنية، وبالأخص الدول الغربية التي نهبت وما تزال ثروات أفريقيا، وعبثت بنظمها السياسية، وزرعت الفرقة بين شعوبها وقبائلها، وأججت الخلافات بين فئاتها الدينية والطائفية، وأي عون تقدمه الدول الغربية لشعوب القرن الأفريقي ليس إلا نقطة من بحر ما نهبته من أفريقيا على مدى قرون وتعويض متأخر وقليل غير مجز عن استعبادها الملايين من سكان هذه القارة المنكوبة.

لم يقل التركي أردوغان الحقيقة كلها عندما أهمل دور السلفية الوهابية في التسبب بهذه المجاعة، والمجاعة في الصومال اليوم نتاج سني سلفي وهابي، ولو تتبعنا نشوء الحركات السلفية التكفيرية في الصومال منذ سبعينات القرن الماضي لقادتنا إلى مسقط رأس الوهابية أي السعودية، وبالتحديد التنظيمات السعودية الهادفة إلى نشر العقائد الوهابية، وأهمها رابطة العالم الإسلامي ودار الإفتاء، اللتان تولتا انشاء المعاهد الوهابية

وارسال الدعاة والمبشرين بمذهب محمد بن عبد الوهاب، ومنها معهد التضامن الإسلامي في مقاديشو.

كان لزاماً على أردوغان وهو المتصدي لزعامة المسلمين، من دون جدارة، وبدعم أمريكي وأوروبي، أن ينصح الحركات السلفية في الصومال، وأولها حركة الشباب السلفية التكفيرية، بالكف عن الصراع والتناحر، الذي راح ضحيته عشرات الألاف، واحرقت نيرانه أخضر ويابس هذا البلد الفقير، وهدمت نتيجته العديد من المساجد والمزارات الدينية للمسلمين الصوماليين، وبالأخص أتباع الطرق الصوفية، ولم يسلم منه حتى السلفيين أنفسهم، الذين تقاتلوا حول توزيع مناطق السيطرة والنفوذ والأتباع، وما زال الصراع مستعراً بينهم، وجدير بالذكر أن حركة الشباب مرتبطة بتنظيم القاعدة الإرهابي، إن لم يكن هيكلياً ففي الفكر والعاطفة.

الحقيقة التي لا نقرأها ولا نسمعها في تصريحات أردوغان وغيره من رؤساء وساسة الدول الإسلامية هي أن السلفيين الصوماليين، وبالذات حركة الشباب، لم يكتفوا بالمشاركة في التسبب بالمجاعة، والاكتفاء بالتفرج عليها، بل منعوا وصول المساعدات إلى ضحاياها.

ليس من قبيل الصدفة أن تساء معاملة الصوماليين في موطن الوهابية السلفية، لأن الوهابيين يقولون ما لا يفعلون، ويدعون إلى الإسلام ولا يلتزمون بقيمه وأخلاقه، ففي السعودية يضام الصوماليون، ويتعرضون لسوء المعاملة، وبالأخص النسوة اللواتي اضطرهن شظف العيش للعمل في خدمة المنازل، وقبل أشهر لم تصغ حكومة السعودية لاحتجاجات الهيئات الدولية ومنها منظمة العفو الدولية فأقدمت على ترحيل المئات منهم بصورة جماعية إلى الصومال خلافاً للمواثيق الدولية التي تحظر إعادة اللاجئين قسراً إلى بلادهم المضطربة أمنياً.

إن كل بلد انتشرت فيه دعوة السلفية الوهابية حل به الخراب والدمار، والأدلة على ذلك كثيرة، في أفغانستان والباكستان والعراق وسورية، وفي

الصومال بالطبع، ومعظم الدول الإسلامية والعربية بالذات مرشحة لكي تضاف لهذه القائمة.

في ضوء كل هذه الحقائق نسأل السلفيين لم تقتلون أطفال الصومال؟ وهل المصور الغربي الذي انتحر لأنه لم يسعف طفلاً جائعاً أكثر إنسانية منكم؟ نحن لا نتمنى لكم الانتحار وإنما العودة للإسلام الحق، دين العدل والرحمة والمساواة.

24 آب 2011

القمة العربية بين قانوني انعدام الوزن وحزمة العصي

في الطبيعة ظواهر وقوانين ثابتة، منها انعدام الوزن، إذا انتفت الجاذبية.

في قصص التراث حكمة، تتوارثها الأجيال، هي الأخرى مستمدة من الطبيعة، ومنها قصة حزمة العصي، البرهان الأبوي للأبناء على ضرورة التكاتف فيما بينهم.

تعقد في العراق قمة عربية، أشبه بحزمة العصي، فهل ينطبق عليها القانون الطبيعي الخاص بذلك؟ أي هل أن القوة أو المنعة الناتجة عن اجتماع دول العرب أكثر من قوة كل واحدة منها؟

اجتمع الرؤساء العرب من قبل، مرات عدة، عبر عقود من السنين، واتفقوا على أمور كثيرة، كان من أهمها قضية فلسطين وتحرير أراضيهم المحتلة والدفاع المشترك والوحدة الاقتصادية وغيرها من الأمور الحيوية، وهي ثوابت في مقررات كل القمم تقريباً.

انعقدت القمم وأبرمت المقررات لكن شيئاً لم يحدث، لم تتحرر فلسطين، ولم تسترد الدول العربية أراضيها المحتلة بجهد جماعي وإنما باتفاقات ثنائية مذلة، ولم يدافع العرب عن الكويت بل هرعت أمريكا لحماية مصالحها وتحرير أبار نفطها، ثم احتلت العراق، من دون أن يتذكر أحدهم الدفاع المشترك، وسواء كان الاقتصاد يتبع السياسة أو العكس فالعرب أبعد ما يكون من الوحدة أو حتى التعاون الفعال في مجال الاقتصاد.

اجتمع قادة العرب واتفقوا وتضامنوا لكن عصيهم تكسرت، تخلوا عن تحرير فلسطين بل حتى الدويلة الفلسطينية تبدوا بعيدة المنال، وما زالت الجولان وبعض أراضي لبنان محتلة، وتقسمت السودان، والعراق على وشك ذلك.

تتناقض انكسارات العرب مع حكمة حزمة العصي، فما هو السبب؟ الحكمة صحيحة، لكن تجمع العرب في حزمة خرافة من نتاج قمم العرب، في العلن

يتبادلون الابتسامات والقبل، وفي الخفاء يتقاذفون الشتائم وأحياناً الصحون وغيرها، وكذلك مقرراتهم، هي مجرد كلام يستخفون به شعوبهم ليطيعوهم، والحقيقة هي أن عصي العرب أوهى من عصا سليمان بعد أن نخرتها دابة الأرض.

ستكون قمة بغداد تكرار ممل، لكل القمم السابقة، ستستنسخ مقررات قمم سابقة، فيما عدا القضية السورية، وتفاصيلها معروفة سلفاً.

لا ينطبق قانون قوة العصي على القمم العربية لكنها خاضعة لقانون انعدام الوزن، والدول العربية - سواءً منفردة أو مجتمعة في قمة - عديمة الوزن، في حسابات السياسة والاقتصاد، تتحكم أمريكا برقاب غالبيتهم العظمى، وتملي عليهم المواقف والقرارات، ولا تكافئهم على هذه الطاعة العمياء، بل أهون في نظر أمريكا فناء كل العرب من موت صهيوني واحد. في الاقتصاد أيضاً العرب من دون وزن على الرغم من غزارة نفطهم وموقعهم الاستراتيجي.

لو كان رؤساء العرب منجذبين لشعوبهم ومصالحها لما كانت دولهم عديمة الوزن.

في قمة بغداد ستجتمع العصي المهترئة مرة أخرى، لتسبح في فضاء انعدام الوزن، ولن ينخدع بسحرها سوى السفهاء.

27 اذار 2012م.

العشاء الأخير وعبد الله بن سعود الإسخريوطي

قبل ألفين سنة، اجتمع المسيح عليه السلام والحواريون حول مائدة عشاء، عرف بالعشاء الأخير، في تلك الليلة قبض أحد الحواريين، وهو يهودا الإسخريوطي، ثمن خيانته لرسول الله، أربعين قطعة من الفضة، احتجز اليهود الرسول، لم يكترثوا بإحيائه الموتى بقدرة الله، ولا بنفخه الروح في الطير بقوة الله، وسلموه للسلطة الرومانية، وبتحريض من حاخامات اليهود، صلب الرومان المسيح، هكذا تروي نسخة الإنجيل المتداولة، أما نحن فنعتقد بأنهم ما صلبوه وما قتلوه ولكن شبه لهم.

بالأمس انعقد عشاء مماثل، في نيويورك لا القدس، لم يحضره المسيح، لكن اليهود كانوا مدعويين، وبالطبع روما العصر أمريكا، وغاب عنه يهودا الإسخريوطي، لكنه أرسل ممثله عبد الله بن سعود، وهو جدير بحمل لقب إسخريوطي أيضاً، انبعثت منه رائحة نفاذة، طغت على كل روائح المأكولات الشهية، نتن الخيانة، لم يخونوا المسيح فقط هذه المرة، بل كل أنبياء الله، الذين سكنوا فلسطين، أو مروا بها، أو أسرى بهم الله إليها، وأولهم خاتم الأنبياء والمرسلين.

جلس حول مائدة العشاء قتلة الأبرياء وأحفاد قتلة الأنبياء، واتفقوا جميعاً على صلب فلسطين، وطن الأنبياء والأبرياء، ولم يقبض عبد الله الإسخريوطي أربعين قطعة فضة، ثمناً لتسليم فلسطين لحاخامات صهيون، بل هو وأخوانه من أعراب الجزيرة قدموا أربعمائة مليار دولار من ثروات شعوبهم، قرباناً على محراب الربا العالمي، ليرضى عنهم من لا يرضون عنا حتى نتبع ملتهم.

انتحر الخائن يهودا الإسخريوطي، قبل أن ينفق فضة الخيانة، وهذا نذير للإسخريوطي المعاصر، بعدها بسنين قلائل خلت فلسطين من اليهود، وسيعيد التاريخ نفسه بإذن الله، ولم ينقضي وقت طويل حتى اندثرت

امبراطورية روما، وهو المصير الحتمي للإمبراطورية الأمريكية، وبقيت وستبقى فلسطين لأهلها.

بيتوا صلب فلسطين، متناسين المسجد والصخرة والجمعة الأخيرة من رمضان والصامدين في غزة، ونسوا وعد الله الحق، فإذا جاء وعد الآخرة ليسوؤوا وجوه الصهاينة وحلفائهم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا.

13 تشرين الثاني 2008م

الرد العقلاني على القائل أن نعل النبي شرف لعلي والحسن والحسين

اكتب لا دفاعاً عن الشيعة، ولا انتقاصاً من السنة، وقد سأمت حتى القرف من الخطاب الطائفي، وهالني ما أدى إليه من سفك للدماء وتهجير وخراب، وما أنتجه من تعميق للخلاف والفرقة، فكل حزب فرح بما لديه، ولو انشغل كل فريق بإصلاح ذاته لكان خيراً للجميع.

لكني وجدت العقل مغيباً، والمنطق مفقوداً، والأهواء تتلاعب بالنفوس، فانبريت لكتابة هذا المقال وغيره.

ما اثار حفيظة عقلي ومنطقي فلم قصير، يطل من خلاله خطيب في المسجد الأقصى، هو الشيخ صلاح الدين بن إبراهيم، يعرض فيه بعض معتقداته، ولم يعد الفلم متوفراً على موقع اليوتيوب.

يرى الشيخ المقدسي تناقضاً صريحاً بين موقفي الحسن والحسين، فإن كان الحسن مصيباً في صلحه مع معاوية يكون الحسين مخطئاً في "خروجه" أو ثورته على يزيد بن معاوية، ولو كان الحسين على حق تنتفي شرعية صلح الحسن، وبالنتيجة تكون دعوى الشيعة بعصمتهما داحضة، وهو يعتقد بأن الحسن فقط كان مصيباً. والسهم الثاني الذي أطلقه الشيخ المقدسي تجاه عقائد الشيعة هو "أن نعل النبي شرف لعلي والحسن والحسين".

قبل تناول ما يراه الشيخ المقدسي تناقضاً جلياً بين موقفي الحسن والحسين كان الأجدر به استذكار آيات القرآن الكريم وبعض حقائق التاريخ، وفي القرآن الكريم مثال واضح على أن التناقض البين بين سلوكين قد لا يكون كافياً للحكم بصحة أحدهما فقط، بل من الممكن أيضاً أن كليهما صحيحان، فالمعروف أن ياسر وزوجته سمية أول شهيدين في الإسلام، قتلهما مشركو قريش لرفضهما الارتداد عن الإسلام وسب رسوله، أما ابنهما عمار فقد اضطر تحت وطأة التعذيب الوحشي للنزول عند رغبة جلاديه من

المشركين، وكان سلوكه مناقضاً لموقف والديه، ونزلت في ذلك الآية الكريمة التالية: (مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) [النحل:106]، وهكذا يتبين بأن السلوكين المتناقضين تماماً لعمار ووالديه كليهما مرضيان وصائبان في المنظور العقائدي، الذي لا يمكن للشيخ المقدسي أو غيره إنكاره، كما فات الشيخ أو تجاهل أن صلح الحسن ورفض الحسين مبايعة يزيد بن معاوية حدثان وقعا في زمنين مختلفين وفي ظل معطيات وظروف مختلفة، وإذا كان القبول بحكم معاوية المشروط ضرورة حتمتها الظروف في زمن الحسن، فكذلك لم يكن أمام الحسين من خيار عقائدي سوى الامتناع عن بيعة الفاسق يزيد بن معاوية والمسير إلى الكوفة، وبعد خذلان أهل الكوفة ونكثهم لبيعته استشهد دفاعاً عن عقيدته وأهل بيته وأصحابه، فلا تناقض حقيقي بين موقفي الحسن والحسين.

قال وكرر الشيخ المقدسي بأن نعل النبي شرف لعلي والحسن والحسين، وهو رأي محير، إذ يصعب تصور الشرف المكتسب لنعل النبي، والنبي كما يخبرنا القرآن الكريم يمشي في الأسواق ويأكل الطعام، وقد تصيب نعليه قذارة، إذ تروي كتب أهل السنة أن الرسول خلع نعليه اثناء الصلاة ولما سأله أصحابه عن ذلك أجابهم بأن جبرائيل انبأه أن فيهما خبثاً فخلعهما، [صحيح ابن خزيمة، كتاب الصلاة]، ويخبرنا القرآن الكريم بأن الله أمر النبي موسى بخلع نعليه لأنه في الوادي المقدس طوى، كما لا يجوز دخول الكعبة بنعلين، وهي كلها ادلة تنفي "الشرف" المكتسب للنعال التي يرتديها الأنبياء العظام.

لو سلمنا على سبيل الجدل بمقولة الشيخ بأن نعل النبي شرف لعلي والحسن والحسين نكون قد قبلنا بأن الشرف سرى من النبي إلى نعله، وبما أنه لم يشرح كيفية اكتساب النعل للشرف نفترض حدوث ذلك حتماً بالملامسة لقدمي النبي، وهذا يقودنا إلى استنتاج بأن كل ما اتصل بالنبي بالملامسة من جماد أو بالمصافحة من بشر اكتسب شرفاً، واستطراداً على هذا المنطق تكون أرض المدينة المنورة مشرفة لأن النبي مدفون فيها، وبما أن الأرض متصلة ببعضها فهل تكون كلها مكتسبة للشرف أيضاً؟ سؤال

موجه للشيخ المقدسي وأتباعه، كما يستدل من اعتقاد الشيخ بأن الحسن والحسين أعظم الناس شرفاً وهما شرف لكل المسلمين، فقد روى البخاري ومسلم: " فاطمة بضعة مني فمن أغضبها أغضبني " [البخاري رقم 3523، 3556، ومسلم برقم 2449] والحسن والحسين بضعتان من فاطمة ومن النبي أيضاً، فهل من العقل القول بسريان الشرف إلى نعل النبي كما يدعي الشيخ المقدسي فقط وامتناع ذلك عن بضعة النبي؟

كان الأجدر بالشيخ المقدسي صلاح الدين بن ابراهيم الترفع عن هذه المهاترات الطائفية المخجلة والمنافية لأبسط قواعد المنطق والعقلانية، ولو أطل يومها من أحد أبواب المسجد الأقصى، لشاهد بأم عينيه اليهود الصهاينة المغتصبين لأرض فلسطين، وهم يدنسون المسجد الأقصى، ويرقصون في باحاته، ولو صمت وأنصت جيداً لسمع أصوات آلات الحفر وهي تقوض قواعد أولى القبلتين وثالث الحرمين (أو كما يصفه السلفيون القبلة "السابقة" وثالث المساجد التي يشد إليها الرحال) ولا يكاد يمر يوم إلا نسمع ونقرأ تحذيراً من اقتراب موعد هدمه وبناء المعبد اليهودي محله، وكان حرياً به بل واجباً شرعياً عليه أن يفرغ كل ما لديه من قوة لخلاص هذه المسجد من احتلال الصهاينة وجمع كلمة المسلمين حول ذلك بدلاً من تعميق هوة الخلافات الطائفية بينهم بكلام مناف للدين والعقل والمنطق.

(للإسلام غايتان عظمتان هما الإحياء والاصلاح، ووسيلة كبرى وهي التعلم)

15 نيسان 2014م

احتراق عشرات السجانين الصهاينة في جحيم الكرمل

احتراق غابة امر عادي، يتكرر حدوثه كل عام، في كل القارات والدول، وقد تتمدد نيرانه، لتلتهم المباني، وتقتل الأحياء، وتوقع الخسائر الفادحة، يقال أنه من سنن الطبيعة، طريقتها الخاصة، للتخلص من النفايات، من نبات ميت أو مريض، وبالحرق تجدد الغابة شبابها، أو تولد من جديد، كذلك اسطورة العنقاء، الطائر الخرافي، المقدس لدى القدماء، إذا هرم أوقد ناراً، وارتمي فيها، ليولد من الرماد مجدداً، هكذا كتب المؤرخ اليوناني هيرودوت، ولو كانت هنالك عنقاء لاختارت موطناً لها في جنوب لبنان، هي البقعة الأطيب في بلاد فينيقيا، ولعلها ذلك الطائر الضخم الذي رأيته بأم عيني، قبل حوالي عامين، محلقاً على ارتفاع شاهق، يكاد يلامس سحب لبنان.

حرق الموتى من طقوس الهندوس، هم أيضاً يؤمنون بتجدد الحياة، من خلال الاستنساخ، لو شاء الله أن يستنسخ السجانين الصهاينة المحترقين فماذا سيكون خلقهم الجديد؟ أخمن بأنهم سيعودون للحياة صهاينة أيضاً، فليس هنالك على سلم الخلق كله أدنى منهم.

لم تكن ميتة عادية، والحريق أيضاً لم يسبق له مثيل، في هذه المرة لم يكن الهاربون سجناء وأسرى، بل السجانين أنفسهم، تركوا السجن ولاذوا بالفرار، ناجين بأنفسهم، أو هكذا ظنوا، لكن النيران كانت لهم بالمرصاد، طاردت حافلتهم، حتى انقلبت، احاطت بهم من كل جانب، ولم تخلف منهم سوى الرماد.

الحريق استثنائي، في كل المعايير، لا يعرفون مصدره، وقد أذهلتهم نيرانه المستعرة، التي ارتفع لهيبها، ليعلوا فوق هامات الأشجار السامقة، الطبيعة تحترق، لكن الصدفة لم تكن وحدها حاضرة، هنالك أيضاً ما وراء الطبيعة، وكأن للنيران عقل محرك، دفعها لتطارد حافلة السجانين، من منعطف لآخر،

ومن أجمة لأخرى، حتى فقد سائقها السيطرة، انقلبت على الطريق المتعرج، اكتسحتها النيران، وانصهر كل ما فيها، المعدن واللحم.

يومها كان عيدهم، المعروف بعيد النور، لكن النيران أطفأت أنوار شمعداناتهم، وتحول العيد إلى مأتم، هم يؤمنون بأن القرابين غير مقبولة إن لم تأكلها النيران، وها هي القرابين، وقد اكلتها النيران، يبقى أن نعرف لأي آله، أجزم بأنها ذهبت تقدمة للعجل الذهبي ذي الخوار.

من ارسل فرق الاطفاء؟ المصريون والأردنيون والأتراك والسلطة الفلسطينية، لو لم يصلوا متأخرين، لربما انقذوا السجانين الصهاينة، لينكلوا بآخرين.

يقال أن الانسان على فراش الموت، أو في حافلة محترقة، يتذكر مسيرة حياته، مثل شريط سينمائي، كانت اشرطة ذاكراتهم مكتظة، بصور السجناء المعذبين، عبد الكريم عبيد ومصطفى الديراني وسمير القنطار وخضر زيدان وماهر كوراني ومحمد سرور وحسين سليمان وعشرات الآلاف غيرهم، وجوه مخضبة بالدماء، واجساد مشوهة بالسياط، واصوات شكوى ولعنات، طاردتهم تلك اللعنات حتى اللحظات الأخيرة عندما اقتحمت النيران الحافلة.

(أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ) [الواقعة: 71-73]

نعم إنها تذكرة.

3 كانون الأول 2010م

عورات ابن العاص وأشباه المثقفين: العراق مثالاً

كلما قرأت التاريخ طفرت إلى ذهني احتمالية لو، وبحرف لو فقط أعيد صياغة التاريخ، داخل عقلي بالطبع، فالتاريخ مسلسل في الزمن والحدث، وكل حدث يفضي إلى نتيجة، وهي الاخرى حدث أو أحداث تاريخية ، هكذا يتوالد التاريخ من نفسه، لو سقطت القسطنطينية في أول معركة فهل ستكون أوروبا كلها على دين الاسلام اليوم ؟ ولو دام حكم العرب في الأندلس سنين معدودات أخرى فلربما كان لهم السبق بدلاً من عدوتهم اللدودة الملكة إيزابيل في تمويل رحلة كولومبوس ولكان معظم سكان الأمريكيتين اليوم مسلمين ناطقين بالعربية بدلاً من الإسبانية والإنكليزية والبرتغالية.

والأهم من ذلك كله عورة عمرو بن العاص، الذي تحفظ ذاكرة التاريخ منظر مؤخرته القبيح التي اتقى بها سيف الإمام علي بن ابي طالب عليه السلام، في واقعة صفين، كما روى البيهقي في كتابه المشهور المحاسن والمساوي(ج 1 ـ ص 38) : دخل عمرو بن العاص على معاوية وعنده ناس فلما رآه مقبلا استضحك ، فقال : يا أمير المؤمنين ؟ أضحك الله سنك وأدام سرورك وأقر عينك ما كل ما أرى يوجب الضحك . قال معاوية ؟ خطر ببالي يوم صفين يوم بارزت أهل العراق فحمل عليك علي بن أبي طالب رضي الله عنه فلما غشيك طرحت نفسك عن دابتك وأبديت عورتك ، كيف حضرك ذهنك في تلك الحال ؟ أما والله لقد واقفت هاشميا منافيا ولو شاء أن يقتلك لقتلك. فقال عمرو : يا معاوية إن كان أضحكك شأني فمن نفسك فاضحك ، أما والله لو بدا له من صفحتك مثل الذي بدا له من صفحتي لأوجع قذلك ، وأيتم عيالك ، وأنهب مالك ، وعزل سلطانك، غير أنك تحرزت منه بالرجال في أيديها العوالي ، أما إني قد رأيتك يوم دعاك إلى البراز فاحولت عيناك ، وأربد شدقاك ، وتنشر منخراك ، وعرق جبينك ، وبدا من أسفلك ما أكره ذكره . فقال معاوية : حسبك حيث بلغت لم نرد كل هذا".

ويورد البيهقي أيضاً (ص 39) بأن "أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضى الله عنه قال زعم ابن النابغة إني تلعابة تمزاحة ذو دعابة أعافس وامارس لا رأي لي في الحروب هيهات يمنعني من العفاس والمراس ذكر الموت والبعث فمن كان له قلب ففي هذا عن هذا واعظ أما وشر القول الكذب أنه ليحدث فيكذب ويعد فيخلف فإذا كان البأس فأعظم مكيدته أن يمنح القوم أسته.."

يومها لو لم يكشف ابن النابغة عن أسته لكان مصيره المحتم القتل، ولو هلك يومها، لما وجد معاوية ابن ابي سفيان من ينصحه برفع المصاحف، ولما حدثت فتنة الخوارج ولكانت نتيجة المعركة الهزيمة الكاملة والنهائية لمعاوية الفاسق وجماعته الباغية، ولأنتصر الاسلام الحق بقيادة الإمام علي عليه السلام، ولكان تاريخ المسلمين باهراً، ولكان المسلمون آنذاك واليوم في أحسن حال.

والعورة بالعورة تذكر، فكما أن كشف ابن النابغة لعورته جر على المسلمين الوبائل فكذلك عورات أشباه المثقفين العراقيين، وهي عورات معنوية متعددة، اجد نفسي مضطراً لتبيانها، خدمة لمصلحة العراق وأهله، الذين كانوا وما زالوا ضحايا لعورات وانحرافات أشباه المثقفين بين صفوفهم.

هنالك اشباه مثقفين كثيرون في العراق، لم ير العراقيون منهم سوى العورات، ابتداءً بعبد المحسن السعدون وليس انتهاءً بالإسلاميين والأصح المستسلمين وأنصار الإرهاب ومزوري الشهادات ومختلسي الأموال العامة وسماسرة المحسوبية والمنسوبية ومحيي الطائفية والقبلية.

كان النظام الملكي طائفياً وعنصرياً ومستغلاً وظالماً، لذا أنتج الكثير من أصحاب العورات، ونحتاج لمجلدات لتعدادهم وذكر عوراتهم، لذا سنكتفي بثلاثة عبد المحسن السعدون ورشيد عالي الكيلاني وساطع الحصري.

عبد المحسن السعدون رئيس الوزراء العراقي نموذج لرجال العهد الملكي، من خريجي جامعات الإستانة، أو معاهدها العسكرية، بدأوا حياتهم عثمانيين، ثم تواطؤوا مع الإنكليز المحتلين، وانتهوا خاضعين لبريطانيا حتى

تبددت عظمتها، أنهى السعدون حياته بالانتحار لأنه اتهم بالعمالة للإنكليز بعد اخفاقه في التوفيق بين إملاءات المحتلين ومطالب شعبه بالاستقلال والحرية، كما كتب في وصيته، وكان الأجدر به الوقوف مع شعبه ضد المحتلين، وما زالت عورته مجسمة في تمثاله في الشارع الذي يحمل اسمه وسط بغداد.

رشيد عالي الكيلاني هو الآخر أراد الاستقلال والحرية لشعبه، أو هكذا ادعى، لكنه في نفس الوقت لا يثق بهذا الشعب وحسن نواياه وقدراته العظيمة، لذا وبدلاً من التوكل على الله والاستعانة بالشعب على المحتلين وعملاءهم لجأ للألمان النازيين، فهو أول من استن الاستعانة بالأجانب، وشرعن الانقلابات العسكرية لتغيير نظام الحكم.

ساطع الحصري السوري المتجنس بالجنسية العراقية، من أشباه المثقفين، الذين ابتلى العراق والعراقيون بهم، هو معروف بأب القومية العربية بين العروبيين ومتهم بالطائفية بين شريحة كبيرة من العراقيين، والجمع بين هذين الصفتين عار على القوميين العروبيين، الذين اتخذوه رمزاً وقدوة، وبالمناسبة زاملت ولده الأستاذ خلدون، أو ربما الدكتور خلدون، اثناء دراستي بالجامعة الأمريكية في بيروت، وكان وقتها يحضر لشهادة الدكتوراة في التاريخ بالجامعة، وشاهدت مرات عديدة زوجته الفاضلة - وهي ابنة رشيد عالي الكيلاني – ملتاعة، تدور بين المقاهي والمطاعم القريبة من الجامعة باحثة عن زوجها خلدون ساطع الحصري، الذي كان يعاني من مشكلة الافراط في تناول الخمور، فتضطر زوجنه الكريمة لاستنقاذه واعادته لبيتهما، ولو انصرف ساطع الحصري لتربية ابنه بدلاً من تصديه الفاشل لتربية شباب العرب لأحسن صنعاً، لذا نقول مات الحصري العراقي السوري وترك وراءه عورات.

عورات نظام عبد الكريم قاسم كثيرة، ويكفيك أنه جاء بانقلاب عسكري، وحكم بقاعدة فرق تسد، فألب كل حزب على الآخر، وكل فئة عرقية على غيرها، بل هو أول من ابتدع الفوضى الخلاقة، أو بالأحرى الهدامة، التي طبقها الاحتلال الأمريكي فيما بعد، والمصيبة أن كثيراً من اشباه المثقفين العراقيين

ارتضوا العمل والتعاون مع هذا النظام على الرغم من رداءته الواضحة للعيان ونتائجه الكارثية على العراق ووحدة شعبه، وقد تسنى لي في لبنان اللقاء بأحد أركان هذا النظام وهو الدكتور هاشم جواد رحمه الله، وقد سألناه يوما: لم تعاونت مع عبد الكريم قاسم على الرغم من سياسته الرعناء فجاء رده بما معناه: لمنعه من التمادي في رعونته!

كل أشباه المثقفين الذين تعاونوا مع نظام البعث عورات، تهافتوا على الانتماء لحزبه، وتنافسوا على التملق له، وتزاحموا بالمناكب على المناصب في حكوماته، فما أكثر أصحاب الشهادات العليا المستوزرين في عهده، الذين لم يستنكفوا من العمل مع أعوان صدام من جلادي وجلاوزة الأمن ومخبري الحزب، وكان من المحتم أن يسيطر أشباه المثقفين على الجامعات ومراكز البحوث، فماذا كانت النتائج؟ يصف أحد أساتذة كلية العلوم بجامعة بغداد سابقاً الترقية العلمية لأساتذة الجامعات العراقية بالمهزلة المضحكة المبكية، وينقل بأن بعض البحوث العلمية التي قدمها أساتذة للحصول على ترقيات علمية أرسلت إلى مقيمين في الخارج فعادت وعليها تعليقات مقتضبة مثل: ارموها في القمامة أو شيء من هذا القبيل، لذا فقد لجأت الجامعة إلى القبول بالبحوث أو المقالات المنشورة في دوريات محلية غير محكمة، أي أن النشر فيها لا يخضع لشروط وضوابط التحكيم العلمي الرصين.

ولعل البعض منكم يتذكر "بكرين" و"صدامين"، والضجة الإعلامية التي رافقت الاعلان عن اكتشافهما، والاطراء والثناء الذي أغدقه النظام على مخترعها، وصدق كثير من العراقيين السذج بأنهما بالفعل عقاران فعالان لمرض السرطان، وقد انطلت الخدعة على قادة النظام وأتباعه من الأكاديميين لأنهم من أنصاف وأشباه المثقفين والعلماء، وبالفعل فقد قاموا باستعماله في علاج بعض المرضى في مدينة الطب، فماتوا. ومراكز البحوث العلمية التي طبل لها النظام هي الأخرى لم تكن سوى خدعة كبيرة، أسسها النظام، واستغلها أشباه المثقفين والعلماء للحصول على المناصب الرفيعة والرواتب والمخصصات الكبيرة والإيفادات والبعثات والزمالات، ثم تبين فيما بعد بأنها مراكز عقيمة، بحوثها مستنسخة، ونتائجها مكررة، وأعجب ما فيها

مركز لبحوث النخيل والتمور، ففي فترة نشاطه اندثر ما لا يقل عن ثلث نخيل العراق.

كل أصحاب الشهادات الذين انضموا لحزب البعث وتعاونوا معه هم وصوليون انتهازيون سلبيون استعلائيون خائبون، كان أحدهم زميلاً لي بالدراسة في الجامعة الأمريكية ببيروت في الستينات من القرن الماضي، كان طالباً متفوقاً وشيوعياً متحمساً، واحترمته لمواقفه وإن اختلفت معه عقائدياً، وبعد تخرجه من الجامعة سافر إلى الولايات المتحدة الأمريكية ليعود منها حاملاً شهادة الدكتوراة، بعد عشر سنين أو أكثر التقيت به صدفة في موقف سيارات الإدارة الحكومية التي عملت بها لسنوات ثلاث قبل الهجرة من عراق الطاغية صدام فعاتبني لأني لم أزره على الرغم من تجاور مقري عملنا، وكنت أنا في حينها موظفاً صغيراً مضطهداً من البعثيين وهو مدير عام، وبالطبع بعثي، وتأكد لي ذلك عندما فتح صندوق سيارته ليريني رشاش الكلاشينكوف قائلاً بأنه في طريقه للتدريب مع الجيش الشعبي، وانقطعت عني أخباره حتى الأمس القريب عندما قيل لي بأنه مرشح في الانتخابات الأخيرة في العراق، أي قيمة لهذه الحياة التي تبدأها شيوعياً ثم تصبح بعثياً من أجل منصب ثم تفقده وتعود لتطمح بمقعد برلماني، ولو نجح في الانتخابات فما الذي سيقدمه لهذا الوطن المنكوب بالعورات مثله من أشباه المثقفين الذين لا دين ولا قيم ولا اخلاق ولا وطنية لديهم.

بعد سقوط النظام البعثي التسلطي استبشرنا خيراً وتطلعنا إلى عهد جديد لا تكون فيه مشاركة لأصحاب العورات من السياسيين وغيرهم، ولكن تبين وللأسف بأنه لا يختلف عن النظم السابقة فكل هم الحكام الجدد على اختلاف طوائفهم وانتماءاتهم السياسية البقاء في السلطة بأي ثمن، لذا أدنوا منهم المنافقين والمتملقين والوصوليين، وبالطبع كان لأشباه المثقفين حظوة خاصة لديهم، وهرع الكثيرون للحصول على شهادات مزورة، وتسابق البعض لنيل الدرجات العليا بالمراسلة، وهكذا تضافرت قوى الساسة المتهافتين على السلطة مع أشباه المثقفين المتهالكين على المناصب

والمزورين الطامعين بالأموال العامة، وتكرر ما حدث في العهود السابقة لينطبق مرة أخرى المثل القائل بأن العملة الرديئة تطرد العملة الجيدة.

في أوائل الثمانينات وقبل هجرتي من العراق بفترة قصيرة سألني سائق أجرة بعد أن عرف بأني من أصحاب الشهادات العليا: ماذا قدمتم انتم أصحاب الشهادات للعراق؟ فاحترت في الاجابة على سؤاله المحرج، وأظن كل أصحاب الشهادات الحقيقية الذين لم يلوثوا سمعتهم بالانتهازية والوصولية مازالوا محتارين في الإجابة على هذا السؤال حتى اليوم.

20 تشرين الأول 2011م

لماذا رحب البهائيون المصريون بالشرطة ويخاف منها بعض اللادينيين العراقيين؟

بالأمس القريب صدر قرار بحظر بيع وتناول المسكرات في بعض الأماكن العامة، واقفلت نتيجته بعض دور اللهو في بغداد، فثارت ثائرة البعض، سيروا مظاهرة احتجاجية، وكتبوا المقالات المنددة، وفي حينها لم يتهمهم أحد بعصيان الدستور، والانشقاق على المجتمع، والاستخفاف بتعاليم دينه، والاستهتار بقيمه وتقاليده الاجتماعية والثقافية، ثم انبرى البعض لتجديد الدعوة لفصل الدولة عن الدين، لا على أساس حجج العلمانيين المعروفة، وإنما على افتراض بطلان عقيدة الإسلام، والادعاء بأنها مختلقة ومستنسخة، والزعم باحتوائها على أساطير، يرفضها المنطق والعلم، وهي بالتالي غير جديرة بالاتباع، وامتثالاً للأمر الرباني الذي يوجب علي الدفاع عن معتقدي بالحكمة والموعظة الحسنة تصديت للتهم المكالة لدين الإسلام وقرآنه ونبيه، بمنهج علمي رصين، ومن دون تحامل شخصي، ومن البديهي أن خير دليل على اقتناع الفرد بفكره ومعتقده التزامه به وتطبيقه على نفسه، لذا دعوت كل من لا يؤمن بالإسلام إلى نفي هذه الصفة عن نفسه، من خلال إشهار معتقده وطلب تعديل السجلات الرسمية الخاصة بالديانة، لتتطابق مع معتقده الفعلي، فكان رد فعل البعض الاستنكار والشجب، ولو كنت دعوتهم إلى الإيمان وهم كافرون لحق لهم ذلك، ولكن كلما طلبته هو انطباق الاسم على المسمى، والهوية على حاملها، وهو المنطق والعدل، وكان آخر المطاف اتهامي بالإرهاب الديني والفكري وإثارة الفتن، وتهديدي بالسلطة والسجن، ونشر بياناتي الشخصية على مواقع الإنترنت، علماً أن سب المعتقد الشخصي للفرد جريمة عنصرية، كما أن التعدي على البيانات الخصوصية ونشرها مخالف لمواثيق حقوق الإنسان والقانون، ناهيك عن النهي الرباني (عن الإمام جعفر الصادق قال: من روع مؤمنا بسلطان ليصيبه منه مكروه فلم يصبه فهو في النار ومن روع مؤمنا بسلطان ليصيبه منه مكروه فأصابه

فهو مع فرعون وآل فرعون في النار) المصدر: الكافي للكليني، الجزء الثاني ص 515.

لو استحق كل من قال بدعوتي المقاضاة والحبس لكانت سبقني إلى الزنزانة لجنة الأمم المتحدة المعنية بحقوق الإنسان، وهي جهة لا يشكك أحد بنصرتها لحقوق الإنسان في العالم والدفاع عن حقوق الأقليات الدينية والعقائدية بالذات، ولو وضعت الأغلال في معصمي الكاتب البريطاني براين ويتكر الصحافي في جريدة الجارديان البريطانية المعروفة بخطها الليبرالي العلماني، وكذلك السيد حسام بهجت مدير المبادرة المصرية للحقوق الشخصية، بل وحتى شيخ الأزهر الشريف الراحل محمد سيد طنطاوي رحمه الله، لو كان حياً، ولأستحق الحبس أيضاً كل البهائيين المصريين، البالغ تعدادهم ألفان، وهذا كله محال.

لكي يبطل العجب لا بد أن نعرف السبب، والسبب يكمن في الشرطة.

وقبل أن يصاب البعض بالهلع نقول ليس المقصود بالشرطة هنا رجال الأمن، بل تلك الاشارة المستعملة في الكتابة، والتي ترسم أحياناً بعد ما يعرف بالنقطتين الشارحتين، أو التي توضع قبل وبعد الجمل الاعتراضية، أي (-) فلماذا هلل البهائيون المصريون للشرطة؟

تاريخ العقيدة البهائية قصير، نشأت في إيران في القرن التاسع عشر، وأعلنت من العراق، وانتشرت إلى بعض دول العالم، ومنها مصر، حيث يعيش اليوم قرابة ألفين من اتباع المعتقد البهائي، لا تعترف كل الفرق الإسلامية بالبهائية، ولا يعتبرون عقيدتهم ديناً، وهو أيضاً الموقف الرسمي للدول الإسلامية، ومن بينها مصر، والتي تنظر بعين الريبة للبهائيين وارتباطهم بالصهاينة الغاصبين لفلسطين، بالنتيجة لا يحسد البهائيون على وضعهم في الدول العربية والإسلامية، ومع ذلك لم يقبعوا في الظلال، ولم يرتضوا بما تتفضل عليهم به السلطات الرسمية.

في الستينات من القرن الماضي صدر قرار من الحكومة المصرية في زمن الرئيس جمال عبد الناصر ينفي الصفة القانونية عن البهائيين المصريين،

وحتى بعد مجيء السادات إلى الحكم أصدرت المحكمة الإدارية المصرية في 1975م قراراً يقضي باستثناء البهائيين من حماية الدستور، لكونه لا يعترف إلا بالديانات السماوية الثلاث، مع التأكيد على حقهم في الاعتقاد.

حدث تطور مهم في 1983م، وهو قرار المحكمة الإدارية العليا القاضي على وزارة الداخلية المصرية ببيان المعتقد في البطاقة الشخصية للبهائي، وطبقت الجهات المعنية ذلك القرار بصور مختلفة، فأحياناً تثبت البهائية في حقل الدين، وفي بعض الحالات دونت كلمة (أخرى) في ذات الحقل، أو اكتفت بوضع شرطة (-).

اتخذت القضية منحنى هاماً عندما ذهب مواطن مصري بهائي لإضافة بناته الثلاث إلى جواز سفر والدتهم، وتطبيقاً للإجراءات الخاصة بذلك سلم الموظف المختص أصل الوثائق الثبوتية، والتي تنص على أن ديانتهم هي البهائية، بما في ذلك شهادات الميلاد، لاستنساخها وإعادة الأصول إلى صاحبها، لكن مصلحة الأحوال المدنية قامت بتغيير بيان الديانة من البهائية إلى الإسلام استناداً إلى قرار من وزارة الداخلية، يعترف بالديانات السماوية الثلاث فقط، فلجأ الرجل للقضاء في عام 2004م، وصدر الحكم من محكمة القضاء الإداري في 2006م لصالحه، ملزماً وزارة الداخلية بإعادة وثائق افراد عائلته كما استلمتها، لكن المحكمة الإدارية العليا نقضت الحكم.

في عام 2009م أصدرت المحكمة الإدارية العليا قراراً جديداً، يعترف بحق المصريين البهائيين في الحصول على وثائق رسمية من دون اضطرارهم للادعاء بكونهم من أتباع إحدى الديانات السماوية المعترف بها قانوناً، وتنفيذاً لهذا الحكم أصدر وزير الداخلية القرار رقم 520 لعام 2009م والذي ينص على ما يلي: " ويتم إثبات علامة (-) قرين خانة الديانة للمواطنين المصريين الذين سبق قيدهم أو حصولهم أو آبائهم على وثائق ثبوتية غير مثبت بها إحدى الديانات السماوية الثلاثة..."

هلل البهائيون المصريون لهذا القرار، لأنه وضع نهاية لعدم تطابق بيانات الديانة في وثائقهم الرسمية مع معتقدهم الحقيقي، ولأن القانون يعتبر الادلاء ببيانات غير صحيحة لمصلحة الأحوال المدنية تزويراً.

ونشرت صحيفة الجارديان البريطانية في 17 اذار 2009م مقالة للكاتب برايان وتيكر معنونة "خطوة مصر نحو حرية المعتقد" قال فيها : " إن حكم القضاء المصري بعدم اضطرار المصريين للاختيار بين إحدى الديانات الثلاث المعترف بها نصر مهم لحقهم في المساواة." ونقلت عن حسام بهجت المدير التنفيذي للمبادرة المصرية للحقوق الشخصية قوله بأن هذا القرار الاخير انتصار هام لكل المصريين الذين يناضلون من اجل دولة يتمتع فيها كافة المواطنين بنفس الحقوق، بغض النظر عن ديانتهم أو معتقدهم، وفي موقع آخر تمنى هذا الناشط تعديل المادة الخامسة من قانون الأحوال المدنية المصري رقم 143 لعام 1994م لتمكين البهائيين وأمثالهم، إذا كانا من نفس المعتقد، من توثيق واقعتي الزواج والطلاق في مكاتب التوثيق بالشهر العقاري (كتابة العدل).

ويتأكد لنا صواب رأي الكاتب ويتكر والناشط في حقوق الإنسان حسام بهجت بعد الاطلاع على المادة 18 من إعلان حقوق الإنسان (الترجمة العربية على موقع الأمم المتحدة): " لكل شخص الحق في حرية التفكير والضمير والدين ويشمل هذا الحق حرية تغيير ديانته أو عقيدته وحرية الإعراب عنهما..."

وتنقل بعض المصادر تصريحاً صحافياً منسوباً للدكتور الشيخ محمد سيد طنطاوي رحمه الله، يقول فيه ما يلي: " كتابة البهائية كمعتقد في خانة الديانة أمر ممكن ولا ضرر منه بل تمييز واجب لمن هو خارج عن الديانات السماوية"، ويفهم من ذلك بأن بيان معتقد من لا يؤمن بالإسلام أمر مقبول شرعاً، بل هو تمييز واجب، تفرضه مصلحة المسلمين، ويرد في قرار محكمة القضاء الإداري بتاريخ 4 نيسان 2004م في القضية المذكورة سلفاً بأن لا أساس في الشريعة الإسلامية لمعارضة تبيان البهائية في الوثائق الرسمية، بل يعتبر مطلباً من مطالب الشريعة إذ: " تقتضي الشريعة فيما بينه الأئمة

من أحكامها، أن يظهر ما يميز غير المسلم عن المسلم في ممارسة شؤون الحياة الاجتماعية، بما يقيم مجال الحقوق والواجبات التي يختص بها المسلمون ولا يستطيع سواهم القيام عليها لمخالفتها ما يعتقدون." وقدرت المحكمة أن مصلحة المسلمين في بيان الانتماء الديني للذين لا ينتمون إلى الديانات المختلفة، بما فيها غير المعترف بها، ناشئ عن الحاجة لتنظيم الحقوق والواجبات المترتبة على ذلك، وبالتحديد حتى "لا يقع له من المراكز القانونية ما لا تتيح له تلك العقيدة بين جماعة المسلمين".[المصدر Human Rights Watch هيومن رايتس ووتش : http://www.hrw.org/en/node/10606/section/5#_ftn71]

ولو اعترض مسلم غيور على الأمر نقول له بأن الإسلام لا يفرض بالقسر، والله غني عن العالمين، وعندما يترك فرد الإسلام يكون ذلك ربحاً صافياً للإسلام والمسلمين، لإنه لو بقي بين ظهرانيهم فلن يكون سوى عنصر ضعف وإضعاف ونفاق، وهو الخاسر الوحيد باعتقادنا، ويبطل بذلك ادعاءهم بأنهم مجبرون في حمل صفة الإسلام، كما عبر عنها أحد الملحدين العراقيين على موقع (ملحدون عراقيون): "لم اترك الدين الاسلامي لأني أصلاً لم اختاره ، فقد وجدت نفسي محسوبا على هذا الدين رغم انفي "، فهل يرغب مسلم غيور بأن يحسب هذا وأمثاله على الإسلام؟ ولنتذكر بأن مقابل كل خارج من أمة الإسلام يدخلها اليوم الكثيرون طوعاً واقتناعاً وفي أشد الدول والمجتمعات كرهاً وعداوة للإسلام، والواجب على المجتمعات الإسلامية وبالأخص قادة وعلماء دين المسلمين تقوية مناعة أفرادها ضد العقائد الرديئة والإغراءات الحسية التافهة، أو ما يسمى بالهجمة الغربية الحضارية، وهي هجمة بالتأكيد، وغربية بلا جدال، ولكنها همجية ولا حضارية، ولا يغتر بها سوى الحاقد على مجتمعه وثقافته الأصيلة والمتهافت على الملذات والرذائل.

وهكذا تلاقت كل الدعوات والمطالب والمصالح، دعوات حقوق الإنسان العالمية والمحلية ومطالب البهائية وغيرهم من أتباع العقائد الباطلة وغير

المعترف بها دستوراً وقانوناً في الدول العربية والإسلامية مع المصلحة الإسلامية العليا حول الشرطة (-)، لذا دعوت لتطبيقها.

14 كانون الثاني 2011م

ما لم يتعلمه سمير جعجع من سيرة النبي يوسف

ليس هنالك ما هو أثمن الحرية، ولا يشعر أحد بقيمتها مثل السجين، ينتظر يوم إطلاق سراحه بفارغ الصبر، ويعد الأيام والساعات المتبقية من سجنه، وما أثقل السجن على نفس البريء.

سجن النبي يوسف عليه السلام بضع سنين، ومن دون جريرة اقترفها، ثم أتى أمر الإفراج، ومن أعلى سلطة في مصر، لكن النبي رفض الخروج من السجن، وكما تخبرنا بذلك الآية الكريمة التالية:

[وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ] (سورة يوسف:50)

رفض النبي يوسف عفو الملك والخروج من السجن، لأنه عفو من دون براءة، وطلب منه التحقيق في التهمة التي أدخلته السجن، فكان له ما أراد، وتأكدت للملك والناس براءة ساحته من التهمة الباطلة التي قذفته بها امرأة العزيز.

وتبين الآية التالية من نفس السورة صدور الأمر الثاني بإطلاق سراح النبي من السجن بعد البراءة، وثبوت حفظه للأمانة، وبالتالي جدارته بتولي أرفع منصب في مصر:

[وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ] (سورة يوسف:54)

بالمقابل ترشح بالأمس القريب النائب اللبناني سمير جعجع لمنصب رئاسة لبنان، وهو مدان بتهم خطيرة وسجين سابق أطلق سراحه بعفو، وعلى النقيض من النبي يوسف خرج من السجن ولم يطالب بإعادة محاكمته، وهو في سلوكه هذا مخالف تماماً لسيرة النبي العظيم يوسف عليه السلام.

سمير جعجع غير ملزم بإتباع سيرة النبي يوسف كما وردت تفاصيلها في كتاب المسلمين المقدس، لكن ذلك واجب على كل المسلمين، وكل أنبياء الله قدوة للمسلمين، وعليهم الاهتداء بسيرهم الموصوفة في كتاب الله، وبالتالي فإن كل من صوت أو سيصوت لسمير جعجع من نواب المسلمين في المجلس النيابي اللبناني مخالف لهذا المبدأ الإسلامي، وهو مبدأ إنساني وعقلاني أيضاً يتفق معه كل صاحب ضمير يؤمن بالعدل.

(للإسلام غايتان عظمتان هما الإحياء والإصلاح ووسيلة كبرى هي التعلم)

18 أيار 2014م

الفروق الجوهرية بين البحريني الخواجة والصيني جوانججينك في نظر أمريكا

النطق باسم الخواجة أسهل على اللسان، والبد أسرع في كتابته، ولكن ذلك ليس من الفروق الجوهرية، بين الخواجة وجوانججينك، في نظر أمريكا، أو غيرها.

هنالك مشتركات بين الإثنين، أهم من الفروق، في حكم المنطق السليم والعدل، وإن اهملتها حكومة أمريكا، أولها معارضة الاثنين لحكومتي بلديهما، ولكل منهما تاريخ معروف في النضال السلمي، من أجل الحرية والديمقراطية، وباعتراف كل المنصفين، وتعرض الاثنان لاضطهاد مرير، وزج بهما في السجن، بسبب نشاطهما السياسي.

قبع الصيني جوانججينك في السجن سنين ثم وضع تحت الاقامة المنزلية الاجبارية، واحتجز البحريني الخواجة أيضاً، ومازال يرزح في سجنه، فيما ظفر الصيني المعارض مؤخراً بحريته واختار السفر إلى أمريكا والحياة فيها، ولو خير الخواجة بين السجن والمنفى فأجزم بأنه سيفضل السجن.

وفي الأيام الأخيرة تصرفت حكومة أمريكا وكأن الصيني جوانججينك المعارض الوحيد في العالم، فكان الشغل الشاغل لأعضاء مجلس الشيوخ ومحور اهتمام وزيرة الخارجية هيلاري كلنتون.

فهل تعاطفوا مع الصيني لكونه أعمى؟ ربما، والخواجة طريح الفراش، بسبب اضرابه عن الطعام، احتجاجاً على سجنه التعسفي، حتى أوشك على الهلاك، ولكن لم تتعاطف معه حكومة أمريكا.

انتصرت أمريكا للصيني المعارض على الرغم من أنه لا يمثل إلا نفسه ولا ينطق باسم معارضة منظمة، ولم تشهد الصين مؤخراً احتجاجات واسعة ضد حكومتها، بالمقابل نجد أن الخواجة واحد من آلاف المعارضين البحرينيين،

الذين ألقي القبض عليهم، ومثلوا أمام محكمة عسكرية، قضت عليهم بأحكام جائرة، وهم جميعاً مشاركون في حملة معارضة سلمية، واسعة النطاق، شملت غالبية الشعب البحريني.

لو كان الخواجة من الصين لحظي برعاية أمريكية خاصة لكنه من البحرين وهذا أول الفروق الجوهرية من وجهة نظر أمريكا.

لأمريكا مصالح استراتيجية في البحرين، أبرزها القاعدة البحرية الأمريكية، وحكومة البحرين خاضعة بالكامل لسياسات أمريكا في المنطقة، وتربطها علاقات قوية مع الكيان الصهيوني، لذا تتغافل أمريكا عن قمع حكومة البحرين لغالبية شعبها، وتتجاهل مطالبة أكثرية الشعب بزوال حكم آل خليفة، وخلافاً لما تجاهر أمريكا به من مناصرتها لحريات الشعوب أقدمت قبل أيام على تزويد هذه الحكومة المغتصبة للشرعية بالأسلحة.

تزامن قضيتي البحريني الخواجة والصيني جوانجينك والتناقضات الصارخة في موقف الحكومة الأمريكية منهما فضح مرة أخرى عداء أمريكا لأحرار العرب والمسلمين وزيف الادعاءات الأمريكية، فلا اعتبار للقيم الانسانية ومباديء الحرية والديمقراطية في السياسة الأمريكية، بل للمصالح فقط.

23 ايار 2012م

مقارنة بين اختيار مرسي والنبي يوسف لحكم مصر

ذاك نبي مرسل وابن نبي وهذا رجل من عامة الناس لذا فقد لا تصح المقارنة لكنها قد تكون جائزة في أمر واحد، وهي أن الإثنين اختيرا لحكم مصر، وما يهمنا بالذات معايير الاختيار ونجاح كل منهما في أداء مهام المنصب.

حسن وجه النبي يوسف عليه السلام مضرب الأمثال، أطار عقل زوجة العزيز، وقطعت نسوة المدينة أيديهن بسببه، حتى ظنن بأنه من الملائكة لا البشر، وما كان موضع رغبة أو حسد الآخرين أدى بالنبي إلى السجن، ولم يكن من أسباب اختياره حاكماً لمصر. أما بالنسبة للرئيس مرسي فهو على النقيض تماماً من النبي يوسف في الحسن والوسامة، وبالتالي فما يقال عن تأثر الناخبين في أمريكا وغيرها بوسامة المرشحين لا أثر له البتة في اختيار أغلبية الناخبين المصريين للرئيس مرسي، وبالنتيجة فالحسن لم يكن ضمن معايير اختيار أي منهما.

العقيدة إحدى أسس اختيار الحكام، والأمثلة على ذلك كثيرة، فالعرف الدستوري البريطاني ينص على أن يكون الحاكم مسيحياً على المذهب الإنجليكي، وفي أمريكا لا توجد قاعدة دستورية لذلك لكن الافتراض السائد هو أن المنتمين للمذهب البروتستانتي أكثر قبولاً لدى الناخبين من الكاثوليك أو غير المسيحيين، وتشترط دساتير الدول العربية والإسلامية الديانة الإسلامية، ما عدا لبنان الذي يرأسه مسيحي ماروني، ولولا أن يكون الرئيس مرسي مسلماً سنياً لما اختاروه لرئاسة الجمهورية، أما النبي يوسف فقد استلم حكم مصر وهو يعبد الله وعلى دين النبي إبراهيم عليه السلام، وهو لم يخف ذلك، كما يبين لنا القرآن الكريم، وبالتحديد في محاورة النبي لصاحبي السجن، في حين كان أهل مصر في حينها وثنيون، ويؤمنون بتعدد الآلهة، ومع ذلك وعلى الرغم من التناقض الحاد بين دين النبي وعقيدة أهل مصر فقد اختير لحكمها.

قد يزعم البعض بأن المصريين القدامى اختاروا النبي يوسف لأنهم عدوه من الكهنة أو العرافين أو السحرة، عندما تنبأ بسبع سنين من الرخاء تليها سبع سنين من القحط، وكما يدلنا القرآن الكريم فقد كان للسحرة مكانة خاصة في المجتمع الفرعوني، وكان المصريون القدامى يخافون ويهابون السحرة والعرافين، لكنهم ومثل بقية الناس تحت سطوة الحاكم، وفرعون عدو النبي موسى عليه السلام توعد السحرة بقطع الأيدي والأرجل والصلب لأنه آمنوا برب موسى وهارون، لكن ليس في تاريخ مصر ما يؤيد ارتقاء كاهن أو ساحر لعرشها، كما لا يوجد ما يؤكد انتظارهم حتى ثبوت صحة تفسيره لرؤيا الملك قبل اختياره، وبالتالي فهذا الافتراض فاقد للمصداقية، من ناحية أخرى فقد يحاجج معارضو الرئيس مرسي بأنه استغل الدين وانتماءه لفصيل سياسي إسلامي لاستمالة أصوات الناخبين، وقدم لهم وعوداً زائفة، حتى أنه اقترف خطيئة ارسال برقية شكر لرئيس الكيان الصهيوني الغاصب السفاح شمعون بيرس رداً على تهنئته بشهر رمضان.

هل كانت الجدارة معياراً في اختيار النبي يوسف والرئيس مرسي؟ ليس للرئيس المصري تجربة سابقة في الحكم والإدارة، تؤهله في أعين وتقييم الناخبين لتولي رئاسة مصر، وكان بعض المرشحين المنافسين أكثر جدارة منه في حسابات الخبرة العملية والتاريخ الوظيفي أو المهني، لذا فقد كان اختياره بالدرجة الأولى لانتمائه لحركة الأخوان المسلمين ومنعاً لفوز المرشح المنافس في الجولة الثانية، أما النبي يوسف فلم يكن مصرياً أصلاً، واشتروه كما يشترى المسترقون، وعمل في قصر العزيز، ودخل السجن مظلوماً، وخالف عقيدتهم قبل أن يختاروه لإدارة خزائن أرض مصر وتولي مقاليد الحكم فيها، وهم لم يفضلوه على غيره لعقيدته وانتماءه ولا اقراراً منهم بكونه نبياً مرسلاً ولا لمعجزاته أو حسنه ووسامته ولا لأنه تنبأ بالغيب، بل لأنه امتلك الصفات المطلوبة في القائد، ومنها العفة والإخلاص، واثبت جدارة فائقة في ادراك دورة مواسم مصر الزراعية وضرورة توفير احتياطي من المحاصيل في مواسم الوفرة لسد النقص في سنوات الجفاف والقحط.

ثبت من اختيار المصريين القدامى الوثنيين الذين عاشوا قبل أكثر من ألفي عام للنبي يوسف عليه السلام لحكم وإدارة بلدهم بأنهم أشد اهتماماً بتحري الجدارة والأخلاق في الاختيار من غالبية المسلمين والعرب المعاصرين، الذين تتحكم في اختياراتهم السياسية والوظيفية والشخصية الأهواء وعوامل التحيز والتعصب الطائفي والعرقي والقبلي والمناطقي بدلاً من مؤشرات الحكمة والجدارة والأخلاق وصفات الإخلاص والأمانة وحسن التدبير، وهي الدليل القاطع على مدى انحرافنا عن المنهج الموضوعي الراقي وعن قيم ومباديء الإسلام السامية والتي هي جوهر الدين وغاياته العليا.

22 حزيران 2013م

أربعة حاضرون في مصر: الله والشعب والحاكم وأمريكا

الله حاضر، بالفعل والقدرة في اعتقادنا نحن المؤمنون به، والإيمان به حاضر أيضاً، في عقول المؤمنين، رغم أنوف الملحدين، وبالنتيجة هو حاضر بالفعل والقدرة والإيمان.

وسجل الشعب المصري حضوره بالتضحية والمسيرات والشعارات.

فيما اختار الطاغية البقاء في مصر، للوقت الحاضر على الأقل، مستعيناً بقوته وأزلامه ودعم أمريكا والغرب لنظامه.

أمريكا حاضرة أيضاً، لا بدعوة من المصريين بل بخنوع الطاغية، هي أشبه بالطفيلي، تأخذ عافيتهم، وتفرز عليهم سمومها، لذا بين الأربعة هي وحدها أجنبية، نشاز على مصر والمنطقة بالمطلق.

هذه هي القوى الأربع على الساحة المصرية اليوم، فكيف نلخص مواقف هذه القوى؟:

الله وأمريكا ضدان لا يجتمعان.

الله مع الشعب بشروط وضد الطاغية الظالم وأمريكا الطفيلية.

أمريكا مع الطاغية حتى يفقد صلاحيته وفائدته، ومع الشعب بشرط الخضوع لمشيئتها وخدمة مصالحها.

الطاغية عدو الله والشعب وحليف أمريكا إن رضت به.

الشعب مع الله ما دام إيمانه قوياً، وضد الطاغية حكماً، وعدو أمريكا لأنها أجنبية وطفيلية.

وماذا عن محصلة تفاعل هذه القوى؟

لو يأس الطاغية من امكانية الاستمرار في منصبه فسيهرب هو وأعوانه تاركاً البلاد للشعب، الذي قد يسمح بعودة طاغية آخر أو يختار نظاماً عادلاً.

لو فترت همة الشعب المصري بفعل تمسك الطاغية بالسلطة، وفقد حماسه، ونفذ صبره بمرور الزمن وكثرة التحديات وفراغ المواقع القيادية، وبالتالي ضعفت ثقة المصريين بالله، فسيثبت الطاغية حكمه من جديد، وتكون له الكلمة المسموعة لدى رعاته الأجانب.

لو تغلبت النزعة "البراغماتية" على فكر الشعب المصري، واعتقد بأن لا احد يستطيع مخالفة إرادة امريكا القوة الاعظم في العالم، أي باختصار أن الله في السماء وعلى الأرض أمريكا، كما يردد بعض العرب في المحور الأمريكي مثل دول الخليج والعراق، فقد تزيح امريكا الطاغية عن السلطة، وتستبدله بنظام آخر تابع لها، وهو استنساخ لعهد مبارك والسادات بشعارات ومظاهر خداعة جديدة.

لو وضع الشعب ثقته بالله وعقيدته وقدراته لكتب الله له النصر، وثبت اقدامه، لكي يزيح الطاغية وحكومته، ويمنع أمريكا من التأثير على اختياراته، ويمكنه من تشكيل الحكومة التي يرتضيها لبلده، وهو أعظم الفوز.

لو راجعنا هذه البدائل لوجدنا أن القوة العليا هي لله وحده، بل هي القوة الفعلية الوحيدة، وأمام الشعب المصري الاختيار بين الاستفادة من هذه القوة أو التفريط بها، أما أمريكا والطاغية فقوتهما احتمالية، وليس لها أي تأثير، إلا إذا اعترف بها الشعب المصري، وأقر بوجودها، ووجل منها، وحسب لها حساباً، فهي أشبه بقوة الشيطان، إذ لا سيطرة له على المؤمنين بالله.

في النتيجة فإن العنصر الفعال والحرج في المعادلة هو الثقة بالله، ومع الثقة بالله، بالفكر والسلوك، يستحق الشعب العون الرباني الموعود، فينتصر.

لنتذكر صدام حسين، الذي شن حرباً ضروساً على إيران بدعم واسناد وتمويل من القطبين في حينها ومعظم دول العرب والعالم، وفي بدأ الحرب خرج في مؤتمر صحافي ليقول بأن على قادة إيران الرضوخ لشروطه وإلا فسنضربهم وأومأ بوقاحة إلى حذاءه، كما هدد بتقسيم إيران، وبينما وثقت

إيران بالله، ودافعت عن أرضها، وضع الطاغية ثقته بأعداء الله، وكانت النتيجة أن احتل سادته الأمريكيون العراق، وأرغموا أنفه في التراب، ووضعوا أحذيتهم فوق رأسه، ثم اقتادوه للمشنقة، وهم اليوم يخططون لتقسيم العراق، فيما أصبحت إيران قوة إقليمية كبرى تخشاها أمريكا والصهاينة.

كانت أمريكا تعول على معسكرها في المنطقة في مواجهة إيران، فإذا بمعسكرها يتصدع، من خشية شعوب المنطقة.

هددت أمريكا وحلفاؤها حزب الله بالمحكمة الدولية، وتوعدوه بالاستعانة بنظام مبارك، واستقدام قوة مصرية لمحاربته، واليوم يتساءلون إن كان الجيش المصري سيحمي نظام مبارك المتهاوي.

سيختار الشعب المصري الثقة بالله وينتصر بإذن الله.

31 كانون الثاني 2011م

اليد الخفية في الثورات العربية

نزل الحدث عليهم كالجبل، خسيء المنجمون، وكسدت شعوذتهم، ولم يقصدهم الملوك والأمراء والشيوخ هذه المرة، واحتار الأكاديميون المتشدقون، وبهت المحللون الاستراتيجيون، ولعلها أسوء كوابيس وزارات الخارجية، في دول العالم الكبرى قبل الصغرى، فهم جميعاً اخذوا عن حين غرة، حتى ويكيليكس سكتت عن التسريبات غير المباحة، وغدت مواقعها شبه مهجورة، وأول ما نزل غضب الحكام العرب المتسلطين على رؤوس مخابراتهم، فكيف سهى ملايين المخبرين عن الإبلاغ عن الحدث قبل وقوعه؟

من حرك ثورات العرب؟ سؤال احتاروا في الاجابة عليه.

هل هو أبو عزيزي؟ ولكنه مات محترقاً، مأسوفاً على شبابه، ولم يبق ليقود الثورة، ولم يشهد حتى انتصارها في بلده تونس، ثم من سمع بعدوى ثورات تنتقل من بلد لآخر؟

من حرض هذه الرعية على الخروج على أولياء أمورهم، وهو في مذهبهم فسوق وعصيان وبغي؟

ومن لقنهم الهتاف بإسقاط فخامة الرؤساء وجلالة الملوك وسمو الأمراء والشيوخ وسعادة الوزراء وفضيلة علماء السلاطين؟ يا الله ما أجرأهم.

وكيف واتت كل هؤلاء الناس الشجاعة والجرأة والعزيمة وبالأمس القريب كان كل واحد منهم يلوذ بالصمت ويرتجف لو مر بجانبه شرطي؟ لعلها تعويذة سحرية للشجاعة!

مستحيل أن تكون وراءها أمريكا، لأنها بقدر ما تحب وتساعد وتؤازر الحكام الدكتاتوريين في الدول العربية تكره شعوبها.

لعلها اليد الخفية.

واليد الخفية مصطلح اقتصادي، استعمله ادم سميث، مفكر الاقتصاد الحر، والمقصود به محصلة قوى السوق الرأسمالية، التي تنظم السوق، وعلى رأسها بالطبع سعي الأفراد وراء مصالحهم الذاتية والتنافس فيما بينهم.

فهل المصلحة الذاتية وراء ثورات العرب؟

وهل من المصلحة الذاتية أن يحرق التونسي نفسه؟ ويخاطر المصري بروحه؟ ويجازف البحريني بثكل أمه ويتم أولاده؟

نعم هي اليد الخفية، لكنها ليست يد النظام الرأسمالي، فهو دائماً نصير الدكتاتورية والمستغلين، بل هي يد الله.

هي يد الله التي ألفت بين قلوب الشعوب، ومن قبل كانوا شيعاً وأحزاباً.

يد الله التي كانت حاضرة عندما واجهت الشعوب المستضعفة حكامهم المتفرعنين، وقد توعدهم الله وكل المستكبرين بالخزي والعار في الدنيا والآخرة.

يد الله لا يد غيره التي رمت عروش وكراسي السلطة وأزلامها فأسقطتهم جميعاً.

يد الله فوق أيدي الشعوب المسلمة التواقة لإعلاء كلمة الله ولإحقاق الحق ونشر العدل والحرية والمساواة وتأسيس نظام سياسي يعز الله به الاسلام وأهله ويذل به النفاق والكفر وأهله.

8 اذار 2011م

أعداء الحرية عبيد!

ليس هنالك شيء أثمن من الحرية، ولمن يظن أن الحياة نفسها أغلى أقول وما قيمة الحياة بدون حرية، والعبودية درجات، أسوأها كون الإنسان عبداً مملوكاً لإنسان آخر يتصرف به كما يشاء، وإلى زمن قريب كان استعباد الإنسان لأخيه الإنسان امراً مقبولاً لدى النظم العقائدية والاجتماعية والسياسية، وحتى الستينات من لقرن الماضي كان العبيد يباعون ويشترون في أسواق النخاسة العلنية في إحدى الدول العربية.

على مر العصور عرف العرب بممارستهم للعبودية، وكانت القبائل العربية في الجاهلية تستعبد الأسرى من القبائل الأخرى، و بعد الإسلام استرق العرب أعداداً كبيرة من سكان البلاد المفتوحة، وامتلأت بيوتهم بالعبيد من الذكور والاناث، وكان لهؤلاء العبيد تأثير سلبي على نشر وترسيخ الدعوة الإسلامية، وعلى تحضر وتطور العرب، فقد نفرت العبودية الناس من الإسلام، وساهم وجود العبيد في تأصل العلاقة التسلطية لديهم، والتي تتطلبها العلاقة بين السيد والعبد، فأصبحت جزءاً أساسياً من النسيج الاجتماعي العربي، فالسيد مهيمن تماماً على حياة عبيده، يفعل بهم ما يشاء، يتصرف بأجسادهم، ويحقر عقولهم، ويمتهن كرامتهم، وإذا تجرأ أحدهم على مخالفة سيده كان مصيره الجلد وأنواع أخرى من التعذيب الجسدي والنفسي، التي يراد منه ترويضه على الطاعة العمياء.

منذ العصر الإسلامي الأول تأطرت العلاقة الاستعبادية، ولم تك المقولة الشهيرة للخليفة عمر بن الخطاب: متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً! دعوة لتحرير العبيد لأن أمهاتهم ولدتهم أحراراً ، وعلى النقيض مما قرأناه وسمعناه من شروحات فليس المراد بها الاحتجاج على العبودية ولا الاستنكار لجلد العبيد، بل هي إشارة إلى واقعة تعرض فيها إنسان حر إلى معاملة العبيد، أي الجلد، والمقصود بها كيف جلدتم عربياً حراً وتعاملتم معه

معاملة العبيد وهو ليس بعبد، وكان جلد العبيد أمراً معتاداً ومقبولاً، وكما عبر عنه المتنبي بعد قرون بقوله: لا تشتري العبد إلا والعصا معه إن العبيد لأنجاس مناكيد، وبالنتيجة ترسخ تسلط الإنسان على بني جنسه حتى درجة الاستعباد في نفوس العرب ومؤسساتهم الاجتماعية والسياسية، وليس بعيد عن ذلك معاملة الحكام لرعاياهم، فلا عجب أن يكون كل الحكام العرب متسلطين، يتصرفون بمقدرات أتباعهم كما السيد بعبيده.

كان لمؤسسة العبودية آثار مفجعة في النطاق الاجتماعي أيضاً، ولعل أسوأها تدني قيمة العمل اليدوي والإنتاج لدى العرب، ففي العصرين الأموي والعباسي، خلى نمط حياة سادة العرب من الجهد العقلي والبدني بعد صيرورتهم طبقة إقطاعية طفيلية تعيش على ريع الأراضي المفتوحة، واستخدموا العبيد في الزراعة والمصانع مثل الملاحات البحرية في جنوب العراق، وقد أدت المعاملة الهمجية التي تعرض لها هؤلاء العبيد إلى ثورة الزنج وسيطرتهم على مناطق واسعة وتهديدهم استقرار الدولة العباسية في حينها، وما أن أثرى العرب المعاصرون بفضل أموال الريع النفطية حتى سارعوا إلى استقدام العمال والخدم من بلاد شتى، وكانت الحصيلة المرة لحلو العيش تدهور قيمهم الأخلاقية وضعف لغتهم العربية وتشوه علاقاتهم الاجتماعية.

أفسد وجود الجواري في العوائل العربية طبيعة العلاقات بين أفرادها، وأصبح من الصعب الادعاء بنقاء السلالة أو العنصر العربي لما اختلط بالدماء العربية من دماء لأقوام مختلفة نتيجة التزوج بالإماء والجواري، ولا عجب أن نجد اليوم ما يسمى بالأمة العربية خليط هجين من أقوام واثنيات لا يجمع بينها سوى اللغة، وغالبيتهم لا يتقنها ولا يكترث بذلك – يسمون أنفسهم الناطقين بالضاد وأجزم بأن معظمهم لا يميز بين الضاد والظاء – ولا يمارسون من عقيدتهم سوى الشعائر بعد أن عطلوا قيمها السامية وتركوا مكنونها وجوهرها لعبث أصحاب الأهواء من السلاطين ووعاظهم والمهووسين بالسيطرة، يؤلونها كما يشاؤون، وبما تقتضي به مصالحهم،

فتارة يجمحون بها إلى التطرف اللاعقلاني، وتارة أخرى يحرفونها لشرعنة تسلط حكامهم وجشع تجارهم وفساد مؤسساتهم.

أخفقت جميع المدارس الفقهية الإسلامية في فهم وتطبيق الموقف الإنساني الأصيل للإسلام من العبودية، وقد كان عدم ورود نص صريح بإلغاء ومنع العبودية بمثابة اختبار إلهي للجميع، وفشل الجميع في هذا الإخبار الصعب، فالإسلام كله نقيض العبودية، وكل مبادئه تعارضها وتشجبها، ولا يكون إسلام الفرد كاملاً مع ممارسته للعبودية - في رأيي، فكيف يمكن له الجمع بين العدالة والعبودية، وأي مساواة تبقى في ظل العبودية؟ ولماذا اكتفى المسلمون بتدوين الأحكام الشرعية التي تجعل من تحرير العبيد كفارة لأعظم الذنوب، ولم يستنتجوا من ذلك بإنها دعوة لإلغاء العبودية؟ وبأي منطق يمتدحون شراء أبي بكر لعبيد قريش المسلمين في أول الدعوة وتحريرهم ثم يمارسون العبودية بأبشع صورها، حتى يروي أحد المؤرخين بأن عبيداً لرجل مسلم ايام الخلفاء الأوائل انتفضوا على سيدهم فقتلوه ثم انتحروا جماعياً من شدة ما لحق بهم من تعسف وظلم. رفض السادة من القادة العسكريين والزعماء القبليين ورجال الدين دعوة الإسلام لتحرير العبيد لأنها تتعارض مع مصالحهم الاقتصادية، التي تكونت لهم بعد الفتوحات المسيرة بأطماع جاهلية، والمنفذة تحت غطاء رايات إسلامية، وأي حضارة تبنى بسواعد العبيد، والتاريخ يعلمنا بأن أحد الأسباب الرئيسية لتقوض الإمبراطوريات والدول اعتمادها على العبيد والمرتزقة بدءً بالأشوريين ومروراً بالرومان والعباسيين.

لازالت العلاقات في المجتمعات العربية، ومنها العراق، متأثرة بالإرث البغيض والثقيل للعبودية، والتسلط بصوره البسيطة والمتطرفة حاضر في كافة العلاقات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، يمارسه الزوج على زوجته، والأب على أبناءه، والمعلم على تلاميذه، ومعلم الحرفة على مريديه، ورجل الدين على أتباعه، ورئيس المؤسسة على مرؤوسيه، وبالطبع الحاكم على رعيته، ولعملة التسلط وجهان، أحدهما الرغبة الجامحة في التحكم بالآخرين، وهي ما يعتبرها علماء النفس داءاً نفسياً خطيراً، والوجه الآخر، وهو مظلم

كالأول، الخنوع والخضوع المخزي للتسلط،، والمتسلط أو صاحب الشخصية التسلطية authoritarian personality يذعن لأصحاب السلطة الأقوى منه، وفي الوقت نفسه يتسلط تماماً على من هم دونه على هيكل السلطة والقوة.

في ستينات القرن الماضي صدر كتاب للمفكر المعروف فرانز فانون بعنوان الهروب من الحرية Escape from Freedom، يسجل فيه صدمته مما آلت إليه أحوال بني جنسه الأفارقة، الذين ما أن استقلوا من أبشع أنواع الاستعمار الأجنبي حتى رزحوا طوعاً تحت نير أسوء الطغاة، واعتبر ذلك هروباً من الحرية، وهو ما ينطبق على العرب تماماً، الذين استبدلوا الاستعمار بحكام متسلطين، أمثال صدام حسين، وكل تابع وموالي ومعجب بصدام حسين وأمثاله له عقل ونفسية العبيد، أو ما يعرف بالإنكليزية slave mentality، وأسوق لكم مثلاً ذلك السعودي الذي قد بلغ به الإعجاب بصدام حد ملأ غرفة في بيته بصوره، كما أخبرني ابن عم له، وأمثاله كثيرون، وكلهم عبيد بالعقل والإرادة.

ترك سقوط الطاغية صدام فراغاً كبيراً في نفوس العبيد العراقيين والعرب، وأقدر بأنهم يشكلون غالبية عظمى من العرب، فلا عجب أن يسارعوا إلى نصرة سيدهم، إن كان بالدفاع عنه في وسائل الإعلام أو في محكمة الطاغية، والبعض منهم قتل نفسه وأهلك الأبرياء فداءً لسيده وصنمه، ونخطئ في افتراض بأنهم بشر سويون، لديهم إرادة حرة وعقول راشدة، وما تشدقهم بمقارعة قوات الإحلال إلا شعارات زائفة، يقنعون بها لهاثهم وراء السلطة ورغبتهم المحمومة بإعادة صنمهم إلى قصره وتماثيله إلى ساحات العراق، ولا تصح تسميتهم بأيتام، بل هم عبيد طوعاً واختياراً، فضلوا الختم على عقولهم بالضلالة، وعطلوا حواسهم، وحكموا على أنفسهم بانعدام قيمتهم، ومن الطبيعي جداً أن يصطفوا مع أمثالهم من عبيد السلاطين والحكام المتسلطين ويمتثلوا لفتاوى وعاظ ضالين ومضلين يأمرونهم بالخنوع والخضوع للحكام الطغاة ويعتبرون ذلك واجباً شرعياً.

اليمن تختبر عروبتكم وتدينكم

اليمنيون هم العرب العاربة، والبقية أما عرب مستعربة، أي من أصول غير عربية ثم انتسبوا للعروبة قديماً، أو هم هجين ناطقون باللغة العربية كما هو حال معظم سكان البلدان العربية، إذن العرب الأصيلون هم أهل اليمن والقبائل اليمنية التي هاجرت منها.

إذ أردت معرفة موقعك من العرق العربي الأصيل فقارن بين ملامحك وملامح اليمنيين، فإذا لم تجد أي تشابه فابحث عن أصلك بين الأتراك أو أقوام أواسط أسيا الأخرى مثل التتر والمغول والأفغان، والكثيرون من أهل السعودية لا يخفون انحدار أجدادهم من إندونيسيا أو أفريقيا أو بخارى وقبل أيام سخر أمير سعودي من الأصل الهندي لأحد رعاياه، فتظاهر ملك السعودية بالاستياء منه.

لو أخذنا بمقولة أن قياس العروبة ليس بالأصل العرقي أو نقاء الانتماء القبلي بل بمشاعر التعاطف والتراحم والمودة بين الناطقين بالعربية فسنجد بأن اليمنيين متقدمون على كل العرب أيضاً، فهم كانوا المبادرين طوعاً لا تحت تأثيرات خارجية للانضمام لأول مشروع وحدوي في العالم العربي، ففي الثامن من آذار 1958م وقع الأمير سيف الإسلام البدر مع جمال عبد الناصر اتفاقية الاتحاد بين المملكة التوكلية اليمنية والجمهورية العربية المتحدة، فكافأهم عبد الناصر بمؤازرة الانقلاب العسكري الذي قاده المشير السلال.

يرى المتشائمون هذه الأيام نذر زوال الأمة العربية، ولو اتفقنا مع الشاعر بأن الأمم الأخلاق، فلا بد أن تكون أخلاق العرب قد ذهبت، وإن كان ذلك صحيحاً فالاستثناء عليه هو أهل اليمن، فهم وعلى الرغم من قلة مواردهم واضطرار الكثير منهم للهجرة بحثاً عن الرزق لم يغلقوا أبواب بلادهم بوجه أخوتهم العرب، أو بالأحرى من يدعون أخوتهم، والفلسطينيون الذين يقفون اليوم مع العدوان السعودي الأمريكي على شعب اليمن نسوا استضافة اليمن لمليشيات منظمة التحرير الفلسطينية المنهزمة أمام قوات الاحتلال

الصهيونية في لبنان، وعندما ضاق العراق بأهله أثناء الحصار وما بعده رحبت بهم بلاد اليمن، وتقاسم اليمنيون القليل مما لديهم مع العراقيين وغيرهم من ضيوفهم العرب. (وهم اليوم يقاتلون صفاً وحداً مع الفلسطينيين المجاهدين ليس ضد الصهاينة فقط بل أمريكا ودول الغرب الداعمة للصهاينة)

لا يباري أحد اليمنيين في الإخلاص للعقيدة الإسلامية، فهم الداخلون في الدين طوعاً لا كرهاً أو نفاقاً، وليس من بينهم الأعراب الأشد كفراً ونفاقاً والأجدر أن لا يعلموا حدود الله، وكان أول المسلمين من بينهم الحاكم الفارسي لبلاد اليمن باذان، وبينما استعمل غيرهم القوة والقهر في نشر الإسلام كان لليمنيين الفضل في نشره بالحكمة والموعظة والقدوة الحسنة في ماليزيا وإندونيسيا والفلبين وغيرها من دول جنوب شرق أسيا حيث يعيش اليوم غالبية المسلمين، فهل من بين القدماء والمعاصرين من يجاريهم في هذا الفضل العظيم؟ وهو في نظري الجهاد الحق لا جهاد السيف في نشر الإسلام. وهم الان يتعرضون لهجمة شرسة من ادعياء الإسلام في السعودية وغيرها من الدول المتحالفة معها، وهؤلاء كلهم معتدون في حكم الإسلام، والواجب الشرعي على بقية المسلمين نصرة المظلوم على الظالم المعتدي وقتال جيش آل سعود الباغي، والله ينهى عن القتال إلا في حالتين: صد عدوان الكفار على المسلمين ومحاربة الباغي، وبالتالي يستوي الكفار المعتدون والمسلمون البغاة على هذا الصعيد، والكافر المسالم أرحم بالمسلمين من المسلم الباغي.

نقول لغير الثوار اليمنيين من العرب والمسلمين ومن يقف معهم لقد اختبرتكم العروبة وأخلاقها والإسلام وتعاليمه وقيمه فوجدتكم ناقصين، لذلك فكل العروبة والإسلام اليوم مجتمعة في يمن أنصار الله ومن هم على شاكلتهم.

(للإسلام غايتان عظمتان هما الإحياء والإصلاح ووسيلة كبرى هي التعلم)

1 أيار 2015م

إبليس أول أعداء أهل اليمن وآخرهم آل سعود وحلفاؤهم

أول الخلق آدم وزوجه حواء في اعتقاد المسلمين وأتباع الرسالات السماوية الأخرى، ولكنهم مختلفون حول موقع هذه الجنة، إن كانت في السماء أم الأرض، وعن مكانها الجغرافي، وتقترن كلمة عدن بالجنة في عدة آيات قرآنية، ورأى بعض المفسرين بأن كلمة عدن دالة على الإقامة والاستقرار، لكن الظاهر والأصح هو أن عدن هي المنطقة الجغرافية المعروفة في اليمن، والتسمية واردة في التوراة أيضاً، واليمن معروفة بجنات الشجر والزرع الوفير، فمن المنطقي اقتران الجنة بعدن في القرآن الكريم، ولوكان آدم في جنة عدن قبل إخراجه منها فيكون هو أول أهل بلاد اليمن.

ضعف آدم أمام غواية إبليس، وخالف أمر ربه فاستحق هو وزوجه الخروج من جنة عدن إلى الأرض، وتفاصيلها معروفة بين المسلمين وغيرهم من أصحاب الرسالات السماوية، وبذلك يكون إبليس أول عدو لأهل اليمن.

اليوم يتكالب الأعداء على أهل اليمن، ويقتلون رجالهم ونساءهم وأطفالهم، والأعداء هم السعودية الوهابية ودول الخليج الأخرى ومصر والأردن والمغرب والسودان والباكستان بقيادة أمريكا وبمباركة دول لا تعبد الله أو لا تقيم وزناً للدين مثل دول أوروبا وروسيا والصين.

لمعرفة السبب الحقيقي وراء عداء السعودية وحلفاؤها وأنصارها لليمنيين وبالتحديد حركة أنصار الله ومؤيديهم علينا قراءة خطاب رئيس وزراء الكيان الصهيوني نتانياهو في ذكرى الهولوكست النازي

قبل أيام والذي قال فيه بأن الإيرانيين أشبه بالألمان النازيين لمجرد ترديدهم لشعار الموت لأمريكا والموت لكيانه الصهيوني، مما يستوجب معاداتهم ومحاربتهم.

لأن إيران رفعت هذا الشعار تحالفت السعودية ودول الخليج ومعظم الدول العربية وأمريكا والغرب والدول الشيوعية مع النظام العراقي البعثي صدام حسين في عدوانه عليها، فكانت حرب الخليج الأولى التي قادت للثانية ثم جاء الاحتلال الأمريكي ليزرع الطائفية والإرهاب الوهابي في العراق والمنطقة.

أثناء موسم حج عام 1407هـ/ 1987م ردد الحجاج الإيرانيون وغيرهم من المشاركين في مسيرة البراءة من المشركين شعار الموت لأمريكا وللكيان الصهيوني فقتلت الشرطة السعودية منهم قرابة 400 حاجاً أعزلاً.

ولأن أنصار الله اليمنيين رفضوا غواية عملاء الشيطان الأمريكي في السعودية ورفعوا شعار الموت لأمريكا والموت للكيان الصهيوني استحقوا سخط الصهاينة وأمريكا والغرب وعملائهم الصغار من حكام العرب والمسلمين، لذلك أمر الشيطان الأمريكي السعودية والمتحالفين معها بشن العدوان على اليمن.

إبليس عدو البشر وأول أعداء أهل اليمن، فلا عجب أن يكون الشيطان الأمريكي وأعوانه الدوليون والإقليميون وأبرزهم الشيطان السعودي الصغير أعداءً للبشرية ولأهل اليمن على وجه الخصوص.

(للإسلام غايتان عظمتان هما الإحياء والإصلاح ووسيلة كبرى هي التعلم)

20 نيسان 2015م

السعوديون وحلفاؤهم بغاة معتدون واليمنيون مظلومون فهل بقية المسلمين عصاة لأمر الله؟

قال الله تعالى: وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (الحجرات:9)

المسلمون أخوة، واقتتالهم محرم، بل هو من أشد المحرمات، ولكن حدوثه محتمل لذا قدم لنا الهدي الرباني الطريقة المثلى للتعامل معه، تبدأ بالإصلاح بين الطائفتين المتقاتلتين، ويكون الصلح ناجحاً لو رضى الطرفان بالحكم العادل فيما شجر بينهما وتوقف القتال، ولكن قد يرفض أحد الطرفين الصلح ويصر على مواصلة القتال والعدوان، فيكون في حكم الباغي، والواجب على بقية السلمين قتاله حتى يتوقف عن القتال ويقبل بالصلح العادل.

للموضوع صلة تاريخية تعود بنا إلى استشهاد عمار بن ياسر رضي الله عنه في وقعة صفين بأيدي جيش معاوية بن أبي سفيان، وقد تنبأ الرسول الأعظم بذلك كما ورد في الحديث الصحيح لدى أهل السنة، إذ روى البخاري (447) عن أَبِي سَعِيدٍ الخدري في ذكر بِنَاءِ المَسْجِدِ ، قَالَ " :كُنَّا نَحْمِلُ لَبِنَةً لَبِنَةً وَعَمَّارٌ لَبِنَتَيْنِ لَبِنَتَيْنِ، فَرَآهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَنْفُضُ التُّرَابَ عَنْهُ ، وَيَقُولُ: (وَيْحَ عَمَّارٍ ، تَقْتُلُهُ الفِئَةُ البَاغِيَةُ، يَدْعُوهُمْ إِلَى الجَنَّةِ ، وَيَدْعُونَهُ إِلَى النَّارِ)، وبذلك يكون معاوية بن أبي سفيان وجيشه هم الباغين على الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وأتباعه، أما بقية المسلمين فقد برهنوا على ضعف إيمانهم إذ لم يتبينوا أي الفريقين هو الباغي في البدء، كما أن أصحاب الجمل منهم قاتلوا الإمام الذي بايعوه على الخلافة أي أنهم وقفوا في صف الباغين، وبعد أن تبين لهؤلاء المسلمين الطرف الباغي بعد استشهاد عمار

بن ياسر عصوا أمر الله الواضح والصريح بوقوفهم على الحياد وامتناعهم عن قتال الباغي معاوية بن أبي سفيان حتى يقبل بحكم الله.

تبين المصادر التاريخية والفقهية المعتبرة عند أهل السنة والجماعة بأن عبد الله بن عمر بن الخطاب قال عند احتضاره: "ما أجد في نفسي شيئا إلا أني لم أقاتل الفئة الباغية مع علي بن أبي طالب" رواه ابن عبد البر في الاستيعاب (951/3)، والذهبي في السير (231/3) وأبو العباس القرطبي في المفهم . وفي رواية أخرى في الكبير للطبراني: ما آسَى على شَيء فاتني إلاَّ الصومَ والصلاةَ، وتَرْكِي الفئةَ الباغِيَة ألاَّ أكونَ قاتَلْتُها، واستِقالتي عليًّا البيعةَ. وقال ابن الجوزي في صيد الخاطر: لا يختلف العلماء أن علياً رضي الله عنه لم يقاتل أحداً إلا والحق مع علي، كيف وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اللهم أدر معه الحق كيفما دار. وقال الحافظ ابن حجر في فتح الباري: في قوله صلى الله عليه وسلم تقتل عمارا الفئة الباغية دلالة واضحة على أن عليا ومن معه كانوا على الحق وأن من قاتلهم كانوا مخطئين في تأويلهم. وفي شرح مسلم للنووي: قال العلماء هذا الحديث حجة ظاهرة في أن علياً رضى الله عنه كان محقاً مصيباً والطائفة الأخرى بغاة. واخيراً قال ابن خزيمة فنشهد أن كل من نازع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه في خلافته فهو باغ على هذا عهدت مشايخنا وبه قال ابن إدريس يعني الشافعي رضي الله عنه.

اليوم يشن النظام السعودي وحلفاؤه من العرب والمسلمين وبمساندة أمريكا وبريطانيا وفرنسا وكندا حرباً على اليمنيين، ويوجد هنالك احتمالان لا ثالث لهما: أن يكون الصراع بين الطرفين اقتتال بين طائفتين مؤمنتين تنطبق عليه الآية الكريمة المبينة في أول المقال أو أن القتال اعتداء من طرف واحد. لو افترضنا انطباق الآية الكريمة فمن الواضح أن الطرف السعودي وأعوانه وراعيهم الأمريكي يرفضون الصلح ويصرون على مواصلة القتال حتى يرضخ اليمنيون لمطالبهم وشروطهم غير العادلة، وهم بالتالي باغون على اليمنيين ومخالفون لأمر الله، وينبغي على كافة المسلمين قتالهم حتى يفيئوا إلى أمر الله. والاحتمال الثاني هو أن السعوديين وأعوانهم معتدون، وهو ما تؤيده

الحقائق الموضوعية، إذ هم بدأوا القتال، وتحالفوا مع دول أخرى واستعانوا بالأمريكيين الذين يعتبرهم كثير من المسلمين ألد أعداء الإسلام، وبالتالي ينطبق على السعوديين وأعوانهم كافة حكم القرآن الكريم على من يقتل مسلماً متعمداً بأن عليهم لعنة الله والملائكة وغضب الله عليهم وأعد لهم عذاباً عظيماً، أما بقية المسلمين بما فيهم كاتب هذا المقال الطامع بمغفرة الله فهم عصاة مخالفون لأمر الله القاضي بنصرة المظلومين وقتال البغاة المعتدين، والله أعلم.

(للإسلام غايتان عظمتان هما الإحياء والإصلاح ووسيلة كبرى هي التعلم)

10 نيسان 2015م

عبد العزيز بن سعود يفضح دوافع حملة ابنه سلمان على اليمنيين

اشتكى شكيب أرسلان في كتابه الموسوم لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم؟ (كتاب الدوحة، نسخة إلكترونيه) من اصطفاف بعض العرب مع المحتلين وأثنى على تحليل عبد العزيز بن سعود الوارد في إجابته على سؤال لشيخ من الأزهر، وكما هو مبين في النص التالي من كتابه (ص 44): [قال ابن سعود في محفل حافل بحجّاج الأقطار، وقد طالبه مصري أزهري بمحاربة الإنكليز والفرنسيس المعتدين على المسلمين ذاكراً عداوتهم لهم : [الإنجليز والفرنسيس معذورون إذا عادونا؛ لأنه لا يجمعنا بهم جنس، ولا دين ولا لغة ولا مصلحة، ولكن المصيبة التي لا عذر لأحد فيها أن المسلمين أصبحوا أعداء أنفسهم، وأنا- والله -لا أخاف الأجانب، وإنما أخاف المسلمين، فلو حاربت الإنجليز لما حاربوني إلا بجيش من المسلمين .]

قبل حدوث هذا الحوار بين رجل الدين المصري وابن سعود كان عبد العزيز قد فرغ أو ربما أوشك على الانتهاء من قتال الإمارات الأخرى في نجد والحجاز والاحساء والقطيف وعسير ونجران وجيزان والقضاء عليها في حملة شرسة قتل فيها الألاف من العرب المسلمين واعتدت قواته على دول أخرى في المنطقة منها الكويت والعراق واليمن.

لم يناشد الشيخ الأزهري الحاكم السعودي قتال الإنكليز والفرنسيين بل طالبه بذلك، على حد تعبير المؤلف، ووصفهم بالمعتدين على المسلمين، فماذا كان جواب ابن سعود: (الإنجليز والفرنسيس معذورون إذا عادونا)، فالعداوة في فكر ابن سعود بين الشعوب أمر طبيعي إذا لم يكونوا من نفس العرق أو على عقيدة واحدة، وهذا الفكر مخالف للتوجيه الرباني في القرآن الكريم الداعي إلى "التعارف " لا العداوة بين الشعوب، والتماس ابن سعود العذر للدول الاستعمارية التي احتلت دول العرب والمسلمين غير مستغرب فلولا المساعدة السخية التي حصل عليها من الاستعمار البريطاني بطرق مباشرة وغير مباشرة بواسطة شيخ الكويت مبارك قاتل أخويه لما نجح في بسط سيطرته على نجد والحجاز وشمال اليمن.

اشتكى ابن سعود من تقاتل المسلمين وكأنه داعية سلام واتفاق بين المسلمين والحقيقة هو أن ابن سعود واحد من أكبر صناع الحروب بين المسلمين في التاريخ ولا ينافسه في ذلك في القرون المتأخرة سوى أجداده من آل سعود.

رفض عبد العزيز بن سعود قتال الدول الاستعمارية المعتدية وهو موقف مناقض لتعاليم الإسلام التي تفرض على المسلمين رد العدوان، وتحجج بأنه لو فعل ذلك لحاربوه بجيش من المسلمين، وهذه حقيقة لا تنكر وابن سعود وقواته الوهابية والهاشميون في الحجاز قدما البرهان على صحتها، إذ كانوا أدوات للحكومة البريطانية في حربها على الدولة العثمانية المسلمة. ففي الحرب العالمية الأولى غزت القوات البريطانية بعض الولايات التابعة للعثمانيين مثل العراق وحرضت وساندت أتباعها في الجزيرة العربية وأبرزهم آل سعود وآل الصباح والهاشميون على قتال العثمانيين والإمارات الموالية لهم في حائل وغيرها.

يكرر التاريخ نفسه، والأصح هو أن الناس الذين يحملون نفس الفكر يكررون أفعال من سبقوهم، ففي أوائل الثمانينات ساند فهد بن عبد العزيز الطاغية العراقي صدام حسين في حربه على إيران امتثالاً لأوامر أمريكا والغرب، واليوم يكرر سلمان بن عبد العزيز جريرة أبيه وأخيه التي لا تغتفر في امتثاله لأوامر أعداء المسلمين وشنه هو وبقية عملاء الغرب عدواناً صارخاً على اليمنيين. يعادي السعوديون وحلفاؤهم حركة أنصار الله واليمنيين المتضامنين معها لأنهم يرفعون شعار الموت لأمريكا وللكيان المغتصب لفلسطين ومقاومة العدوان الصهيوني والأمريكي ورفض الهيمنة الأجنبية، وهذه أسباب كافية لتعاديهم أمريكا الراعية للنظام السعودي وإمارات الخليج ومصر والأردن والمغرب وكذلك السودان المتوسل رضا أمريكا وعملائها.

قبل أكثر من نصف قرن قال عبد العزيز بن سعود بأنه لو قاتل الدول الاستعمارية لقاتلته بجيش من المسلمين، واليوم ولأن اليمنيين أعلنوا عداءهم للغرب والصهيونية حشدت أمريكا جيوش أدعياء الإسلام في السعودية وبعض الدول العربية وغير العربية لحرب اليمنيين، وبذلك تكون أفعال الابن سلمان قد صدّقت أقوال الأب عبد العزيز، وكلاهما تابع للمستعمرين وعدو للإسلام النقي.

(للإسلام غايتان عظمتان هما الإحياء والإصلاح ووسيلة كبرى هي التعلم)
5 نيسان 2015م

ابحث عن المرأة في الموقف الخليجي من الأزمة السورية

يقول المثل :ابحث عن المرأة، ووراء كل عظيم امرأة، لا يوجد عظماء في مجتمعاتنا ولكن هنالك أزمة دموية في سوريا، بين الحكومة وفئات مسلحة تريد الاطاحة بها، وتتدخل فيها أطراف اقليمية ودولية، وبالأخص الدول الخليجية، وعلى رأسها السعودية، التي لا تخفي رغبتها المحمومة في التخلص من النظام السوري، ويرى المحللون أن اصطفاف السعودية وراء المعارضة السورية المسلحة يمليه الموقف الأمريكي والغربي، الثابت دوماً على قاعدة تقوية الكيان الصهيوني واضعاف النظم المعادية له، ولو اقتصر عداؤهم على الاسناد والقول من دون فعل مؤثر، وبعد استبعاد العراق بالاحتلال والمعاهدة الاستراتيجية والنظام الطائفي الفدرالي التحاصصي فسيكون اسقاط النظام السوري نهاية مفجعة لمحور الممانعة والمقاومة وبداية عصر السلام – أو بالأحرى الاستسلام - الشامل مع الصهاينة، ولكن ماذا سنجد لو بحثنا عن المرأة في موقف الخليجيين من الأزمة السورية؟

لكل مجتمع تراث ثقافي، يعرف هويته، ويستمد منه عاداته وتقاليده، وصورة المرأة في التراث الخليجي جنسية إلى أقصى الحدود، فهي مجرد سلعة، لا تعمل ولا تنتج إلا نادراً، وما أن تحصل العائلة على دخل كاف حتى تتخلى المرأة عن واجباتها العائلية في تربية الأبناء للمربيات، وتوكل مهام البيت الأخرى للخادمات، لتتفرغ لزينتها والعناية بجمالها وراحتها، وكان من المعتاد بينهم الاستدراك على ذكر المرأة بعبارة "كرمكم الله"، وروى لي أحد المقيمين العرب بأنه استشاط غضباً لوصف احد السعوديين للمرأة بـ "السخلة" فقال له: هل هذا الوصف ينطبق على أمك أيضاً؟ وهو محظوظ لأن السعودي لم يلاحقه قضائياً ويطلب ترحيله.

كل شيء في الخليج محكوم بالتراث القبلي الذكوري، حتى منظورهم للدين، وكذلك نظمهم السياسية، لذا موقع المرأة في مذهبهم وسياساتهم

في الخلف، أو هي غير حاضرة تماماً، وإذا ما كانوا يمتهنون نساءهم إلى هذا الحد فلكم أن تتصوروا نظرتهم إلى نساء الشعوب الأخرى الذين يعتبرونهم دونهم مكانةً وحسباً ونسباً وديناً وثراءً.

في 1810م اقدم الحاكم الوهابي سعود على غزو مناطق واسعة في الشام، منها حوران، متذرعاً برفض والي دمشق اعتناق المذهب الوهابي، ولم يكتف جنود الوهابية بقتل السكان ونهب الممتلكات واحراق المزروعات بل سبوا النساء أيضاً.

وفي القرن العشرين غزا الوهابيون مناطق في أرض الشام لكن حملتهم باءت بالفشل بسبب تصدي الأهالي لها.

لم يهدأ الولع الوهابي باللحم البشري الشامي الأبيض، لذا بحثوا عن وسيلة جديدة لإشباع نزواتهم المنحطة، فوجدوا في الخطف ضالتهم، وهكذا نشطت في أواسط القرن العشرين عصابات خطف الفتيات السوريات واللبنانيات وتصديرهن إلى السعودية، وفي مقال لأحد الكتاب السعوديين في جريدة الشرق الأوسط السعودية منشور أواسط الثمانينات من القرن الماضي شهادة قيمة على ذلك، إذ ذكر فيه أن والدته المتزوجة من أبيه السعودي اكتشفت في عمر متآخر أصولها اللبنانية، وبأنها اختطفت وهي طفلة من عائلتها اللبنانية المسيحية لتباع في السعودية، حيث ظلت العبودية ممارسة قانونياً حتى الستينات من القرن الماضي، ويصف الكاتب وقوف والدته عند مدخل منزل عائلتها اللبنانية بعد أن اهتدت إليه واضطرابها النفسي ثم انصرافها من دون زيارتهم.

وعند اقامتي في لبنان للدراسة في جامعتها الأمريكية تداول اللبنانيون قصص اختفاء لبنانيات واختطافهن للسعودية، ومن الروايات المتداولة بينهم أيضاً أن رئيساً لوزراء لبنان في تلك الأيام سمع أحد الوزراء يتهمه من وراء ظهره بجني ثروته من بيع الفتيات اللبنانيات للسعودية فلم ينكر ذلك.

نقل لي أحد قادة المعارضة العراقية المقيم في سوريا بأنه كان بزيارة أحد ضباط المخابرات السورية في مطار دمشق الدولي وشاهد بنفسه عجباً،

وهو وصول عدد من الحافلات إلى أرض المطار ونزول العشرات من الفتيات اللبنانيات اللواتي لم ير في حياته اجمل منهن، ومن ثم صعودهن إلى طائرة خاصة غادرت بحمولتها إلى السعودية، وعندما سأل ضابط المخابرات عن ذلك أخبره بأنها شحنة بشرية مرسلة من لبنان إلى أمراء السعودية.

الزواج من سعوديين امر مقبول أو حتى مرغوب لدى بعض العوائل السورية، ووصف لي سعودي من المنطقة الشمالية زاملته في العمل في الثمانينات وصول شاحنات من حوران السورية سنوياً، محملة لا بالمحاصيل الزراعية بل بالفتيات، اللواتي يطمح ذويهن بزواجهن من رجال سعوديين ميسوري الحال، وفي الوقت نفسه كانت فنادق جدة في الحجاز تشهد وبصورة منتظمة قدوم حافلات محملة بالفتيات الشاميات طلباً للتزوج من مغتربين سوريين أو سعوديين.

اثناء اقامتي في سوريا أواسط التسعينات، زارني سعودي، في الستين من عمره، وأخبرني بأنه في مهمة البحث عن زوجة شابة، وقادته الخاطبة إلى بيوت عشرة فتيات أصغر منه بأربعة عقود من السنين، وكلهن كن مستعدات للزواج به على الرغم من كبر سنه، قال لي بأنه وبسبب انقطاع الكهرباء الدوري اضطر لشراء مصباح يدوي استعان به هو والخاطبة في الصعود إلى منازل الفتيات المرشحات للزواج منه.

العالم كله دار لهو للسعوديين والخليجيين، في السبعينات كانت أسمرة في الحبشة، ثم بانكوك في تايلاند، ومن بعدها المغرب ودبي والبحرين، واليوم تزدحم بعض المناطق اللبنانية بالملاهي المشبوهة التي يتصدر السعوديون قوائم زبائنها الرئيسيين.

السعوديون متلهفون على الاطاحة بنظام البعث السوري ليس فقط كرهاً بالنظام وتحالفه مع إيران وخلافه مع عملاء وحلفاء السعودية في لبنان وعداءه للصهيونية بل أيضاً لأنه أكبر منجم للنساء البيض في منطقة الشرق الأوسط*.

للشعب السوري مطلق الحق في تغيير نظامه السياسي أو الابقاء عليه مع اصلاحات جذرية ولكن المطلوب أن ينتبه السوريون الغيورون على وطنهم وينبذون المفسدين الخليجيين.

17 تموز 2012م

*شهدت معسكرات اللاجئين السوريين في الأردن زيارات بعض الخليجيين الكهول بحثاً عن فتيات سوريات للتزوج منهم مستغلين فقر عوائلهم وحاجتها الماسة لسبل العيش، وانتهت بعض هذه الزيجات بطلاق سريع.

في السعودية أعلى جامع وهي أكبر مفرّق للمسلمين

تعاني السعودية من عقدة نقص حادة، أسبابها جلية للعيان، فهي في المرتبة الأخيرة من ركب التحضر، ولم يبق في العالم نظام ملكي تقليدي لادستوري غيرها، لا تعترف بحقوق الإنسان، وحتى الستينات من القرن الماضي كان الرقيق يباع ويشترى علناً في أسواق النخاسة في الرياض وجدة وغيرها من مدن المملكة الوهابية، ولم يسمح رجال دين المذهب الوهابي بافتتاح مدارس للبنات فيها إلا في الستينات أيضاً، وهي البلد الوحيد في العالم الذي تمنع فيها النساء من قيادة السيارة حتى وقت قريب، ولقد انحدرت سمعتها إلى الدرك الأسفل بعد ثبوت تورطها في تصدير وتمويل الإرهاب العالمي.

ولعل عقدة النقص الدافع الرئيس وراء محاولات السعودية المتواصلة والمضنية لتلميع صورتها في العالم، فيوماً تسمع عن رصد أحد أمرائها لمبلغ ضخم لإحدى الجامعات الأمريكية، وتارة يتبرع أمير بتكلفة إنشاء ساحة عامة في دولة أوروبية، والسعوديون في تسابق دائم مع الآخرين لإثبات وجودهم وتميزهم، ولا يزالون يتفاخرون بأن النافورة البحرية في جدة هي أعلى نافورة في العالم وبأن برج المملكة في الرياض الذي شيده الأمير الوليد بن طلال أعلى مبنى في العالم العربي، وبأنهم يمتلكون أكبر احتياطي نفطي في العالم، وقد ساقهم هوسهم بذاتهم المنكوبة بعقدة الدونية إلى طلب المستعصي وغير العقلاني فسعوا في الثمانينات من القرن الماضي إلى تحقيق الاكتفاء الذاتي الزراعي، وبالفعل فقد أنتجوا كميات من القمح تزيد عن احتياجاتهم، وبتكلفة باهظة جداً، ولكن الخسران الأعظم كان في استهلاك مياههم الجوفية الثمينة جداً لشحتها، ولم يتعظوا من ذلك فلا يزالون يتبجحون بأن لديهم أكبر مزرعة أبقار في العالم، ومن المعروف علمياً بأن البقرة تستهلك أربعة أضعاف الماء الذي يشربه إنسان يومياً بالمعدل،

وبسبب هذه السياسات غير الرشيدة يتوقع خبراء الماء في السعودية نضوب مياهها الجوفية في زمن غير بعيد.

أرجح أن مذهبهم الوهابي هو أحد نتاجات هذه العقدة المستعصية، بل يبدو أن هذه العقدة متجذرة في نفوس أعراب وسط الجزيرة منذ القدم، ففي عصر الجاهلية لم يجدوا ما يتفاخرون به فادعوا لأنفسهم صفات مثالية مثل الشجاعة والبطولة والكرم والنخوة، ولما جاء الإسلام تحالفوا في البدء مع كفار قريش ثم دخلوا الإسلام نفاقاً، فاستحقوا أن يوصفوا بالأشد كفراً ونفاقاً، وقد سولت لهم نفوسهم المرهقة بعقدة النقص والدونية ابتداع دين جديد، تكبراً ومنافسة لدين الحق، ولأن أكثرهم للحق كارهون ارتدوا عن دين الحق، ولحقوا بأدعياء النبوة مسيلمة الكذاب وسجاح التميمية.

لا استبعد أن تكون عقدة الدونية وراء ابتداع محمد بن عبد الوهاب للملة الوهابية المنشقة، فبعد أن ساح في البلاد الإسلامية واطلع على ما فيها من علوم إسلامية وتحضر تيقن من جهل وتفاهة نفسه وقومه الرازحين في درك التخلف والهمجية، وتحركت في نفسه نوازع وأهواء الجاهلية القديمة فخرج بأفكاره المريضة متهماً المسلمين من غير أتباعه بالكفر والجهل ليحط من مكانتهم، ويرفع من شأن قومه الهمج ويحلل لهم سفك دماء المسلمين وانتهاب أموالهم واغتصاب أعراضهم.

يبدوا بأن علة عقدة النقص لدى الوهابيين لا يغيرها إلا الله أو الكفن، فقبل أيام معدودات تناقلت وسائل الإعلام خبر افتتاح أعلى جامع في العالم في السعودية، وموقعه في برج المملكة الذي شيده الأمير الوليد بن طلال، ومن المعروف بأن هذا الأمير السعودي شريك قديم وصديق حميم للصهاينة، وجدير بالذكر بأن تسمية مكان عبادة المسلمين بالجامع للدلالة على جمعه المسلمين لأداء الصلاة، ونتساءل هل سعى الوهابيون لجمع كلمة المسلمين ورص صفوفهم أم غير ذلك؟ إن إطلالة سريعة على السجلات التاريخية غير المنحازة تؤكد بما لا يقبل الشك بأن آل سعود وأتباعهم كانوا ولا يزالون أكبر مفرقين للصف الإسلامي، وفيما يلي بعض الأدلة الدامغة على ذلك:

- ابتداع الملة الوهابية على افتراض أن المذاهب الإسلامية الأخرى منحرفة وأن محمد بن عبد الوهاب هو الوحيد بين الأولين والآخرين الذي أدرك حقيقة الإسلام.
- تكفير معظم المسلمين وزرع العداوة والبغضاء بينهم وتأجيج الصراعات داخل البيت الإسلامي مما دفع بالعثمانيين إلى شن حرب شعواء عليهم والاستعانة بواليهم القوي في مصر محمد علي لتدمير إمارتهم الوهابية في القرن التاسع عشر.
- الاستخفاف بفقه وأحكام المسلمين، وقد استمعت قبل حوالي عشرين عاماً لأحد القضاة الوهابيين في محكمة بالرياض وهو يسخر من فقه أبي حنيفة وبعض أحكام الزواج لدى الحنفية.
- اقصاء المذاهب السنية عن الحرم المكي والمسجد النبوي ومنع شيوخهم من إقامة الصلاة جماعة فيهما منذ ثمانينات القرن الماضي.
- زرع التفرقة الطائفية بين الشيعة والسنة، المكونين الرئيسين في الأمة الإسلامية، وإثارة الفتن وتأجيج الصراع بينهما من خلال المبادأة بالهجوم على المدن والمزارات الشيعية في العراق في الحقب الماضية ومواصلة إذكاء الصراع الطائفي في العراق والباكستان ولبنان وأفغانستان في زماننا الحاضر.
- إثارة الحروب بين الدول والجماعات الإسلامية بالقول والمال والفعل مثل الحرب العراقية الإيرانية والحرب الأهلية في اليمن والصراع الداخلي في العراق.
- اتباع سياسة زعزعة الاستقرار في الدول العربية والإسلامية المجاورة والتدخل السافر والمستتر في شؤونها الداخلية بهدف إضعافها ومنعها من التطور والتقدم لئلا تكون نماذج مضيئة تهفوا نفوس رعاياهم من السعوديين لتقليدها.

وبعد فلا جدال بأن في السعودية أعلى جامع في العالم ، ومن المؤكد بأن آل سعود وأتباعهم هم أشد تفريقاً وإيلاماً بالمسلمين من أصحاب مسجد ضرار، وجوامعهم ومساجدهم المرتفعة صنو برج بابل كلما ارتفعت كلما باعدت بينهم وبين الله وعباده المخلصين.

4 اذار 2007م

المشترك بين الملك السعودي والرئيس المصري والقرضاوي والراقصة دينا

لعلها العروبة، أو على الأقل الانتماء لها، ولو اسمياً، أو حتى مجرد النطق باللغة العربية، لكن ذلك ليس مهماً، لأنه سواء أقر بذلك القوميون أم انكروه، لم تكن القومية الواحدة يوماً رابطة تقرب بين جميع العرب والمستعربين، وهم كانوا ومازالوا تجمعهم وتفرقهم القبلية والمناطقية والمصالح والأهواء.

كلهم مسلمون، وهم يشهدون على أنفسهم بذلك، وكان من المفترض أن يعتصموا بحبل الله جميعاً، لكن المذاهب والمصالح السياسية والتنافس على النفوذ فرقتهم، حتى انطبق عليهم الوصف القرآني بأنهم أحزاب وشيع، كل حزب بما لديهم فرحون.

ولكن الأربعة اتفقوا على أمر واحد، وهو الوسطية، أو هكذا يدعون.

ففي الأمس القريب صرح الرئيس المصري مرسي بأن: " مصر والسعودية حاميتان للإسلام الوسطي السني "، وتكفي مشاهدة حلقة واحدة أو حتى جانب من برنامج القرضاوي لتسمعه يدعو مراراً وتكراراً للوسطية في الإسلام، ومؤخراً انضمت الراقصة المصرية دينا لهذه الجبهة بقولها في أحد البرامج التلفزيونية الحوارية، وفقاً لما تناقلته بعض المواقع الإلكترونية، بأنها تؤيد الوسطية.

لم يكتف الرئيس المصري في بيان عقيدته بذكر الاسلام، بل أضاف إلى ذلك صفتين، السني والوسطي، فهل كان الرسول الأعظم هو الآخر سنياً وسطياً؟

وإذا كان الرئيس المصري يجاهر بأنه هو والملك السعودية على المذهب السني فلم ينكر البعض منهم علينا مجرد الاشارة إلى أن مذهب هذا الرئيس

أو ذاك سني، فيعلق أحدهم بأن تلك "حماقة" ويتهمنا آخر بالطائفية، ام أن من حقهم هم ورؤسائهم وملوكهم التصريح بمذهبهم وحرام علينا نحن الداعين لوحدة المسلمين حتى ترداد ذلك؟

ولكن هل اصاب الرئيس مرسي في وصفه؟ دأب رجال الدين السعوديون ومنذ الهجوم الإرهابي على أمريكا على وصف مذهبهم بالوسطي، في محاولة يائسة منهم للتنصل من ابوتهم لإرهاب تنظيم القاعدة السلفي، ملقين بالمسؤولية على الأخوان المسلمين عن نشر التطرف والعنف الديني في السعودية، وهو اتهام لم يمل أو يكل نايف آل سعود وزير الداخلية المتوفي حديثاً من تكراره، وفي التشكيلة الوزارية لأول حكومة في عهد الرئيس المصري وقع الاختيار على سلفي متطرف ليشغل وزارة الأوقاف بدلاً عن رئيس جامعة الأزهر المعتدل، مما يلقي ظلالاً اضافية من الشك على وصف الرئيس المصري لنظامه وللحكم السعودي بأنهما وسطيان.

في كل يوم يقتل الفلسطينيون، وهم مسلمون سنة ووسطيون على الأغلب، وتستباح أراضيهم وممتلكاتهم، والصهاينة ماضون في تهويد القدس والاستيلاء التدريجي على المسجد الأقصى، ولكن مصر والسعودية ملتزمتان باتفاقات التسوية مع الكيان الصهيوني، لذا تكتفيان من نصرة الفلسطينيين والقدس والمسجد الاقصى بالتصريحات الخجولة الجوفاء، ولا ننسى مسلمي ميانمار، فهم ايضاً على مذهب مصر والسعودية، يقتلون ويشردون، ولم يبادر أي منهما لمساعدتهم ولو بالضغط على المجتمع الدولي.

لو قصد الرئيس المصري حماية الاسلام من اعداءه لما خصص واستثنى، وبما أن لا عداء لهما مع السلفيين، فالواضح أن المعني بذلك هم الشيعة، وهو ما يؤكده توأمته بين حكومتي مصر والسعودية، فالنظام السعودي كان وما زال يعتبر الشيعة في كل مكان ألد الأعداء، ويفهم من تصريح الرئيس المصري تضامنه المطلق مع السعودية في دعمها للنظام البحريني الطائفي في قمع شعبه وللإرهاب الوهابي في العراق والمنطقة، وفي عدوانها على أنصار الله في ديارهم باليمن، وفي توسلها لأمريكا والصهاينة لشن حرب على إيران الإسلامية.

تفهم الراقصة دينا جيداً معنى الوسطية، و"وسط" الراقصة واهتزازه أثمن ما لديها، فهي تدرك جيداً بأن الوسطية في السعودية ومصر وغيرهما في جوهرها تحليل براغماتي وحسابات واقعية، وفي القرار النهائي سيضحي الوسطيون بكل الاعتبارات على مذبح المصالح، فلا غنى لبلدها عن عوائد السياحة، لذا هي مطمئنة لمواصلة عملها، وهي واثقة أيضاً من "وسطية واعتدال" السعوديين، والتي لولاهما لما جنت الشهرة والأموال الطائلة.

الراقصة دينا من الوسط الفني المصري الوسطي، ويشتهر هذا الوسط بشتيمة ترددت كثيراً في مسرحياته وافلامه: "يا ابن الرفضي"، لذا هم في نظري أكثر صراحة وجرأة من ملوك ورؤساء العرب الطائفيين ومن أشباه مثقفيهم السفهاء الذين يخفون طائفيتهم وراء اقنعة علمانية مصطنعة ومهلهلة.

5 اب 2012م

الكيان الصهيوني يقتل وإيران تعاقب

قراران صدرا عن مجلس الأمن في الأيام القليلة الماضية، الأول يأسف لهجوم القوات الصهيونية على قافلة الإمداد الإنسانية المتوجهة إلى غزة ويدعو لإجراء تحقيق دولي محايد، والقرار الثاني يفرض عقوبات اقتصادية وسياسية وعسكرية جديدة على إيران، لرفضها الامتثال لقرارات مجلس الأمن بخصوص برنامجها النووي السلمي.

هجوم الكيان الصهيوني على قافلة الإغاثة الدولية المتجهة لغزة خرق فاضح وخطير للقوانين الدولية وكل القيم الإنسانية، وكان بمثابة الاختبار الكاشف لطبيعة النظام الدولي، الذي تمثله الدول دائمة العضوية في مجلس الأمن، وهي الأقوى سياسياً واقتصادياً وعسكرياً، وتتمثل فيها القوى الفكرية المؤثرة في فكر وسلوك معظم سكان الأرض.

نحن واقعيون، لذا لم نتوقع من مجلس الأمن قراراً يوقع عقوبات على الكيان الصهيوني، تتناسب مع فداحة جريمته النكراء، وما اقترفه من جرائم مماثلة بحق الفلسطينيين واللبنانيين في التاريخ القريب، فكلنا نعرف بأن النظام الأمريكي الراعي للصهاينة بالمرصاد لكل قرار من هذا النوع، ولكن البعض راهن على مصداقية الرئيس الأمريكي الأسود اوباما، ووعوده العريضة بإنصاف العرب والفلسطينيين، ورسالته "الودية" للمسلمين وتوقع قرار إدانة، ولو بلهجة مخففة، ولكن آمال المتفائلين بالرئيس الأمريكي وإدارته باءت بالخيبة والخسران، فقد برهن الموقف الأمريكي في مجلس الأمن ثبات السياسة الأمريكية المناصرة للكيان الصهيوني، وسيان إن كان الرئيس من الحزب الديمقراطي أو الجمهوري، أبيضاً أم ملوناً.

في الوقت نفسه صدر قرار بفرض مزيد من العقوبات السياسية والاقتصادية على إيران بسبب إصرارها على المضي ببرنامجها النووي، ولم يكتف الاوروبيون بتلك العقوبات فزادوا عليها، والكونجرس الأمريكي على

اثرهم، على الرغم من عدم وجود دليل واحد على أن أهداف البرنامج النووي الإيراني عسكرية، وهو ما أقرت بها امريكا نفسها، التي تقود حملة التحريض والتأليب ضد إيران.

أمريكا وحلفاؤها داخل مجلس الأمن وخارجه يعلمون علم اليقين بأن الكيان الصهيوني يمتلك أسلحة ذرية، ويرفض الانضمام لمعاهدة منع انتشار السلاح النووي، ولكن أهون على أمريكا الغاء مجلس الأمن بل منظمة الأمم المتحدة برمتها من فرض عقوبات على الكيان الصهيوني.

في شريعة الغاب تصدر العقوبات من دون بينة ويفلت المذنب من العقاب، لذا نستنتج بأن عالمنا غابة، وكل ما يقال عن تحضر وعدالة النظام الدولي وأركانه، وأولهم امريكا، محض سخف وهراء.

ليس لأمريكا سيدة الغابة الدولية حلفاء إلا الأقوياء، وحتى اليابان القوية اقتصادياً لم تستطع حكومتها الوفاء بوعدها بإغلاق القاعدة الأمريكية في جزيرة أوكيناوا مما اضطرها للاستقالة، لذا لا مناص للعراق من أن يكون قوياً ليستعيد سيادته ويمارس استقلاله الكامل من دون تدخل أمريكي سافر أو مستتر، والآن وبعد ان اخلف الاحتلال الأمريكي كل وعوده التي قطعها على نفسه للعراق بالقضاء على الارهاب، الذي استدعاه الأمريكان أنفسهم، والكف عن التدخل في شؤونه الداخلية، واحترام سيادته، واعادة بناءه وتسليح جيشه، وتخليصه من عقوبات البند السابع فالواجب على المجلس النيابي المنتخب الغاء الاتفاقية الأمنية مع أمريكا وتعجيل انسحاب قوات الاحتلال بالكامل وتقليص تمثيلها الدبلوماسي.

في الغابة التي تتسيدها أمريكا وشركاؤها، ويعربد فيها الصهاينة كما يشاؤون، من حق إيران بل من واجبها المضي قدماً في برنامجها النووي وامتلاك الأسلحة النووية الرادعة.

20 حزيران 2010م

الناطقون بالظاء!

عزيزي القارئ إذا كنت قد اكتشفت الخطأ في عنوان المقالة فاعلم أنه خطأ مقصود، أما إذا كنت لا تجد خطئاً فيه فأنت أحد المعنيين بهذا العنوان، نعم أنت أحد الناطقين بالظاء، وهؤلاء الناطقون بالظاء صنف مستحدث من العرب، لأن العرب ناطقون بالضاد (أخت الصاد) لا بالظاء (أخت الطاء)، ولكن يبدوا بأن هؤلاء العرب الأقحاح غدوا قلة، وأخشى من انقراضهم ليصبح الجميع والعياذ باللّٰه من الناطقين بالظاء.

من هو المسئول عن هذا التدهور اللغوي؟ وجهت هذا السؤال لأستاذة اللغة العربية في إحدى جامعات السعودية، وهي بالمناسبة شاعرة معروفة، فردت نحن السعوديون نلاقي صعوبة في التمييز بين الضاد والظاء، أما أنتم العراقيون فأحسن نطقاً، إذ تميزون بين حرفي الضاد والظاء، لذا أنتم لا تخلطون بينهما في الكتابة، وكنت سأفرح بهذا المديح للعراقيين لولا أني أقرأ بصورة منتظمة ما يكتبونه في صحفهم ومواقعهم الإلكترونية ومحطاتهم الفضائية، وأعلم علم اليقين بأن الكثير منهم أصبحوا ناطقين بالظاء لا بالضاد، لا يستطيعون التفريق بين هذه وتلك، فإذا قرأت لأحدهم عبارة: ظل فلان فقد يقصد بذلك في قاموسه الخاص ضيع الطريق أي عكس اهتدى.

أخشى أن يكون تحول بعض العرب، ومنهم العراقيون، إلى ناطقين بالظاء لا بالضاد مظهر من مظاهر التفريط بلغتنا العربية، ومن عادتنا إتهام قوى خارجية بالمسئولية عن كل ما لا نرضى عنه حولنا، فعندما كثر اللحن بين العرب بعد الإسلام ألقوا باللوم على اختلاط العرب بغيرهم من الأقوام، ويدحض هذا الافتراض حقيقة أن بعض أشهر اللغويين والنحويين في لغة الضاد هم من الفرس، والمبدعون في التأليف باللغة العربية من غير العرب كثيرون، لذا فليس من المقبول اليوم تبرير تهاوننا في تعلم واستعمال لغة القرآن الكريم بطريقة صحيحة بذرائع شتى، منها تعلم أبناءنا في المدارس لغات أخرى مثل الإنكليزية والفرنسية، كما وليس من المنطق نسيان المرء

لغة الأم بعد تعلمه لغة ثانية خاصة وأن تعليم قواعد اللغة العربية متواصل في مدارسنا.

عندما لا نجد غريباً نحمله جريرتنا نلتفت عادة إلى قادتنا، لأننا نفكر ونتصرف على أساس افتراض بأن كل القوة والعزة والقدرة للمتسلطين علينا بالحديد والنار، أما نحن الرعية فلا حول ولا قوة، فهل يكمن وراء ركاكة نطقنا وكتابتنا بلغتنا العربية هؤلاء الطغاة؟ لعل هؤلاء الحكام بالفعل أسوء قدوة لنا في استعمالهم للغتنا، فإذا كان رب البيت مثل الراحل الشيخ زايد آل نهيان سفاحاً للعربية الفصحى فلا غرابة تفضيل رعاياه للهنود على العرب في الوظائف، وكان الملك فهد يكثر من ترديد عبارة "نشكر الله على نعمة الأمن والأمان" لا ورعاً وتقوى ولكن لقلة المفردات العربية التي يتقنها، وهنالك في خطبه كوميديا أكثر من فلم سينمائي لشابلن، وفي أوائل الثمانينات اعترف الطاغية صدام حسين بجهله باللغة العربية، فأثناء القاءه خطاب في ملعب رياضي تلعثم وتخبط في الكلام، ثم ضحك ضحكته الصفراء متذكراً بأن إذاعة إيران تقول بأنه لا يتقن العربية، لعلها صادقة، هكذا قال، أو فيما معناه، ولعل ذلك كان أحد الدوافع التي جعلته ينتحل صفة الأديب، فيكتب الروايات، أو يكتتبها ويوحي لأعوانه بأنه كاتبها، ولقد طالت شرور صدام كل شيء في العراق، البشر والحيوان والشجر والجماد، واللغة بالطبع، ولعل أفحش جرائمه بحق الله ولغة العرب التي كرمها الله بالقرآن العظيم العبارة التي خطها بيده على علم العراق، أي "ألله أكبر"، فوضع الهمزة على الآلف، والهمزة ليست من أصل اسم الجلالة، ولا تدخل عليه إلا في القسم أو الدعاء، واقحام الهمزة على الآلف تحريف لاسم الخالق، فإن كان مقصوداً عد كفراً مثل تغيير الله إلى اللات، وإن كان عن غير علم فهو دلالة على جهل مطبق باللغة، وبقيت هذه العبارة النشاز على علم العراق، شاهداً على تفريطنا بلغتنا العربية، وبعد سقوط النظام توقعت تصحيحها من قبل قادة العراق الجدد، وغالبيتهم العظمى من خريجي المداس الدينية أو كليات اللغة العربية، لكنهم لم يفعلوا ذلك أما لجهلهم باللغة العربية أو لانشغالهم باصطياد المناصب وتثبيت مواقعهم وتوظيف أقاربهم ومحاسبيهم وزيادة رواتبهم ومخصصاتهم، ولم

ترفع الهمزة من على الآلف في اسم الجلالة إلا في العلم الجديد، وإذا كان تغيير العلم العراقي قد أفاد في تصحيح عبارة الله أكبر فالعكس صحيح في تغيير اسم المجلس الأعلى، من المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق إلى المجلس الأعلى الإسلامي العراقي، والذي أخل بالمنطق الذي هو عماد اللغة الصحيحة، كما النحو والإملاء، ولا أدري كيف سولت عقول قادة المجلس لهم، وهم معممون ومتدينون، تقديم صفة الأعلى على الإسلامي أو حتى على العراقي، ويقتضي الترتيب الشرعي والوطني والمنطقي البدء بصفة الإسلامي تأكيداً على كون أساس التنظيم إسلامياً، والتثنية بصفة العراقي لأن الوطن هو جزء من الكل الإسلامي، والانتهاء بصفة الأعلى لأنها متعلقة بتنظيم المجلس لا بمبادئه وانتماءه، وهي بالتالي بالمرتبة الأخيرة من حيث الأهمية بين الصفات الثلاث.

ربما يتبادر إلى ذهن البعض بأن كاتب هذا المقال استاذ باللغة العربية، قضى طيلة حياته في تعلم اللغة، والواقع هي أني لم أدرس اللغة العربية سوى خمس سنوات في الابتدائية، ثم انتقلت إلى كلية بغداد، ومن بعدها الجامعة الأمريكية في بيروت، لأختم دراستي في جامعة بريطانية، ولكني حاولت جهدي الحفاظ على لغتي العربية، فلم أفلح تماماً، كما تشهد على ذلك أخطائي النحوية والإملائية، ولكنها لم تنحدر بعد إلى مستوى الناطقين بالظاء.

ينقص العراقيون المعاصرون الكثير، فهم أحوج إلى الاستقلال من الهيمنة الأمريكية، وإلى الديمقراطية الحقة، وإلى الحريات، وإلى الخلاص من الطائفية السياسية، وإلى التخلص من مرتزقي السياسة ولصوص بيت المال والمرتشين والفاسدين ومزوري الشهادات، وهم أيضاً بحاجة ماسة للتنمية الشاملة، ولكن كثرة هذه الاحتياجات الضرورية لا يقلل من أهمية حاجتهم لصيانة لغتهم العربية وعدم التفريط بها، لأنها عنوان هويتهم الإثنية، ولغة الإسلام، ومن دون الإسلام والعروبة لا يكون العراقيون شيئاً مذكوراً.

22 أيار 2008م

هامش: كتبت هذا المقال قبل قراءتي لخبر تدنيس الأمريكان المحتلين للقرآن الكريم، أما وقد سكت العراقيون على هذه الإهانة الكبرى لله ورسوله فأقول لهم سيان عندي إن حافظتم على لغتكم أم فرطتم بها.

أولريدي وزير خارجية مصر

نطق بالكلمة النشاز، في مكان لا يبعد كثيراً عن مجمع اللغة العربية بالقاهرة، حيث يجتمع علماء اللغة الأجلاء، للسهر على سلامة لغة العرب، وتحصينها من خطر التدهور والاندثار، واثرائها بالمصطلحات العلمية المعربة، لتكون مهيئة لاستقبال كل أنواع المعارف.

وهو لم يستح من قول تلك الكلمة الأعجمية في الأرض التي أنجبت كوكبة من فطاحل العرب، في اللغة والأدب والفكر، منهم طه حسين والعقاد والمنفلوطي والحكيم، ولو كانوا أحياءً لحركت غيرتهم على اللغة ألسنتهم وأقلامهم بعبارات الاستياء والسخط.

ولعل الكلمة وقعت مثل الصاعقة على رؤوس الألاف من مدرسي اللغة العربية الذي فارقوا وطنهم وأعزتهم وأصدقائهم سنين طوال، لمساعدة العرب من الجزائر إلى دول الخليج على استرجاع لغتهم بعد قرون من الجهل أو عقود من الاستعمار.

وفي ذلك اليوم سجلت الكلمة عشرات من لاقطات الصوت وأجهزة التصوير، وبثتها القنوات الإعلامية إلى الملايين مباشرة، وكررتها نشرات الأخبار، ولم يستدرك قائلها فيعتذر، وأشك بأنه يدرك ما اقترفه لسانه.

في مؤتمر صحفي مشترك مع أمين عام جامعة الدول العربية نبيل العربي بحث عقل وزير خارجية مصر العربية عن كلمة تعبر عن مراده باللغة العربية فلم يجدها فاستعار كلمة إنجليزية: (أولريدي) already.

ليست (أولريدي) مصطلحاً علمياً، لم يعربه مجمع للغة العربية، في سورية أو العراق أو مصر، ولا هو تعبير سياسي معقد، قد لا يسعف العقل

بمرادف له باللغة العربية، بل هي مجرد كلمة بسيطة، شائعة الاستعمال، ولو لم يستخدمها لما عميت الفكرة على المتلقين.

لو استعمل كلمة هيروغليفية، لقلنا بأنها لغة قدماء المصريين، وتلك أهون من كلمة إنكليزية، وحتى لو استعان بتعبير عامي، لما عظمت رزية لغتنا المظلومة.

ولم أتعجب من الصمت، فلا احتجاج ولا استنكار، من موالي أو معارض، متدين أو علماني، لأن كثيراً من العرب المعاصرين لا يقيمون وزناً كبيراً للغتهم، لغة القرآن الكريم والأحاديث والشعر والتراث، والكثيرون منهم خريجو مدارس لغات، ويتبارون أيهم أكثر فصاحة، في الإنجليزية أو الفرنسية، وربما قريباً الصينية وحتى التركية، ولو استمعت لأحاديثهم لوجدت أكثرهم يرطنون، وإن تكلموا بالعربية يتلعثمون، ونحوها وإملاءها يجهلون، حتى غدا الناطقون بالضاد اليوم لا يفرقون بين الضاد والظاء، والتاء المربوطة والمفتوحة.

من دون لغة تنطمس ثقافة الشعب، وتصاب هويته بالاهتراء، حقيقة أدركها المستعمرون الأوروبيون، لذلك عادوا لغات الشعوب الواقعة تحت استعمارهم واستيطانهم، ففي المدارس الداخلية الخاصة التي أقامها الأمريكيون والكنديون لأبناء السكان الأصليين وأجبروهم على الالتحاق بها كان استعمال لغتهم الأصلية من أشد المحظورات على الطلاب، وفي بلاد المغرب العربي شخص المستعمرون الفرنسيون عدوين رئيسيين لاستعمارهم الاستيطاني، المناضلون من أجل التحرير واللغة العربية.

بالأمس القريب قامت قيامة الفرنسيين بسبب دخول القليل من الكلمات الإنجليزية على لغتهم، فنشطت حملة للتخلص منها، وكان الهم الأكبر للتركي المرتد أتاتورك "تنظيف" – حسب تعبيره - لغة قومه من الكلمات العربية والفارسية.

العرب اليوم في أسوء أحوالهم، يتقاتلون فيما بينهم، يقسمون بلادهم، ويثيرون الفتن بين طوائفهم، ويبددون ثرواتهم، لذا لن نندهش لو هجروا لغتهم، والأجدر بهم أن يتذكروا مصير العرب البائدة ويتعظوا.

5 أيار 2013م

فلسطين وكوفيد وغايات الخلق

ثلاثة مشاهد تختزل الموضوع، اثنان منها على الأرض والثالث في السماء.

المشهد الأول شرفة في القصر الأبيض يطل منها أربعة: الرئيس الأمريكي ورئيس وزراء كيان العدو الصهيوني ووزيري خارجية الإمارات العربية المتحدة والبحرين، يعلنون بداية التطبيع العلني مع العدو المغتصب لفلسطين. إنه مشهد آخر في مسلسل النكبات والنكسات منذ 1948م.

المشهد الثاني في مكة المكرمة، والزمن موسم الحج. خلا المكان من الحشود المعتادة التي تملأ ساحة الطواف والطوابق العليا، ألف فقط حجوا في 2020م، بنسبة 0.0005% من حجيج العام السابق. المانع هو وباء كوفيد المميت.

في المشهد الثالث يبلغ الله ملائكته بأنه جاعل في الأرض خليفة، وهو الإنسان، فيتخوف الملائكة من جنوحه إلى الإفساد وسفك الدماء لأنهما يخلان بالخلافة في الأرض فلا ينفي الله ذلك لكنه يبين لهم من خلال تجربة قدرة الإنسان على التعلم: [وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا ۖ إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ ۖ فَلَمَّا أَنبَأَهُم بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ] (الآيات 30-33 من سورة البقرة). يستدل من الآيات الثلاث بأن كل البشر خلفاء في الأرض، وباقتضاء الخلافة النقيض من الإفساد وسفك الدماء، أي الإصلاح والإحياء، واتباع الرسالة الربانية التامة كفيل ببلوغ درجة عليا من الخلافة، والتعلم كما بين القرآن الكريم لا يقتصر على المعرفة الدينية فقط بل كل أنواع المعارف المفيدة لبقاء وإصلاح البشر والأرض وما عليها.

المشاهد الثلاثة مترابطة بصورة وثيقة. في البدء كان التكليف بالخلافة وأركانها الثلاثة: الإحياء والإصلاح والتعلم، ولأن العرب والمسلمين تهاونوا في أداء مهمة الخلافة احتل الصهاينة فلسطين ثم جاء كوفيد ليذكرنا بالخلافة وركنها الأساسي الإحياء، حتى أن الإحياء تقدم في الأولوية على العبادات المفروضة، فتعطل الحج وتأجلت العمرة وأقفلت المساجد، لكن المتهافتين على التطبيع والتحالف مع العدو الصهيوني أمعنوا في الانحراف عن الخلافة ولربما لم يعودوا مستحقين لها.

في العهد الجديد يمتدح عيسى المسيح السامري الطيب لأنه أسعف رجلاً مصاباً، أما الكاهن اليهودي فتجاهله لئلا يفسد مسه طهوره، ويؤكد القرآن الكريم على أن الرسالة والميثاق ومنذ العهد القديم مع اليهود بأن من قتل نفساً بدون نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً، فتساوت حياة واحدة مع كل الحيوات، فما أبعد الصهاينة وحماتهم في الغرب والمطبعون معهم عن الامتثال لهذا الميثاق المشترك بين الديانات الثلاثة.

أصل مصائبنا في اهمال أداء التكليف الرباني بالخلافة وأركانها، ففي وضعنا الراهن توجد كل نقائض الإحياء والإصلاح من حروب بينية واقتتال داخلي ونظم سياسية مستبدة وخانعة للهيمنة الخارجية وطائفية مستشرية وإرهاب منظم وتخلف اقتصادي ومستويات فقر مرتفعة ومشاركة متدنية في انتاج المعرفة، فمن مقومات الإحياء الحفاظ على النفس البشرية واحترام حقوقها وتوفير العيش الكريم لها ومساعدتها على بلوغ أعلى درجات تحقيق الذات والتطور، وهذه كلها مفقودة أو شبه مفقودة في عالمنا الإسلامي والعربي عند بدء الاستيطان الصهيوني في فلسطين وحتى إعلان دويلته غير الشرعية في 1948م، وكل هزيمة عسكرية وسياسية ودبلوماسية لاحقة نتجت عن نقص شديد في مقومات الإحياء لدينا. ومثال على إخلال البعض بعقيدة الإحياء نجده في شراء حكومات البلدان الخليجية الغنية بالنفط سندات الخزانة الأمريكية بمليارات الدولارات، والتي تجني منها فوائد مالية متدنية ودعماً سياسياً لنظمها العائلية والقبلية المتسلطة والفاسدة، لكنها

تمول نشاطات الحكومة الأمريكية المعادية للشعوب الإسلامية وغيرها، وكل ضحية بريئة، مسلمة أو غير مسلمة، سقطت بفعل هذا التمويل، ولو كان جزئيا أو ضئيلاً، يتحمل وزرها حكام هذه الدول وشعوبها الساكتة على هذه المخالفة الجسيمة لعقيدة الإحياء.

تلزم الخلافة وركنها الإحياء على المسلمين والعرب ومن يشترك معهم في المواطنة التكفير عن تضييعهم لفلسطين بحشد كل طاقاتهم ومقدراتهم لتحريرها وإعادتها للفلسطينيين، وهو إحياء ليس للفلسطينيين المشردين والمضطهدين فحسب بل لكل المشاركين في هذا الجهد، لإن لا إحياء بدون قوة كافية لردع الأعداء والطامعين وطردهم إن استطاعوا احتلال واغتصاب أرضاً لهم، فالإنسان الملتزم بمهام الخليفة لا يعتدي على الغير لكنه لا يسكت على الاعتداء، فلا بد له من امتلاك كل مقومات القوة والمنعة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعسكرية والمعرفية، وهو في الوقت نفسه لا يحيا في عزلة عن الآخرين من الذين لا يشاركونه عقيدته الدينية، ويكون مستعداً للتواصل والتعاون معهم لو امتثلوا لحقوق الجميع في الإحياء والإصلاح.

غزّة والرجولة

استصرخوهم بأخوة الإسلام واستغاثوهم بقيم العروبة فأجابوهم بالبيانات والوعود الجوفاء فلم تتبق سوى الرجولة، تبين بأن مفهومهم لها قد تغير، لم تعد مقترنة بالشجاعة والفخر، وإذا بلغ الفطام لهم صبياً لم تخرّ لهم سجداً أو تحييهم جبابرة أو حتى صعاليك، بل هم اليوم يتوسلون هيمنة واحتلال وقواعد أعداء أمتهم، والفتوة تحولوا إلى زعر، وكل عزيز النفس هالك أو سجين، وهضاب غزة ليست بعلو الجبال ومع ذلك هاب العرب والمسلمون إلا ما ندر تسلقها، وارتضوا العيش بين الحفر.

درس علماء الاجتماع والأنثروبولوجيا مفهوم وتعريف الرجولة لدى الشعوب، وتوصلوا إلى ارتباط الرجولة بالبيئة الثقافية لذلك فقد تتباين عناصر وسلوكيات الرجولة من مجتمع إلى آخر، كما يشتمل المفهوم على ثوابت ومتغيرات، تؤثر على الأفراد في نفس المجموعة الثقافية، وطبيعته ديناميكية تتفاعل مع المؤثرات الخارجية المتنوعة الداخلية والخارجية.

من المؤسف أن الدراسات الرصينة عن الرجولة في مجتمعاتنا العربية والإسلامية نادرة، والقليل المتوفر منها مقيد في المنهجية وعينات الدراسة واستنتاجاته لا تقبل التعميم، والبعض منها يهدف لاختبار صحة انطباعات وأحكام مسبقة متداولة بين الغربيين، أو يتحرى مدى انطباق النماذج في المؤلفات الغربية على هذه المجتمعات، لذا لا مفر من الاعتماد على الملاحظات والتجارب الشخصية وما يؤيدها من شواهد وحالات.

يتكون المفهوم المركب للرجولة في المجتمعات العربية والإسلامية لو جاز التعميم من ستة عناصر كالتالي: الخصوبة والإنجاب، العمل وتحصيل المعاش، الذود، الفردية، التطور، والعقيدة والقيم والأخلاق.

يتحقق عنصر أو شرط الخصوبة والإنجاب بالزواج الذي هو نصف الدين، ويدرأ عن الرجل شبهة التخنث والميل عن الاستواء الجنسي، ويبرهن على استعداده لتحمل المسؤوليات والواجبات الإضافية المترتبة على الزواج، ويدلل على كونه عضواً ملتزماً وإيجابياً في المجتمع، وبدلاً من مناداته باسمه

المجرد يستحق أن يكنى بعد ولادة ابنه البكر بأبي فلان، وقد يحسد أمير أو ثري مزواج لكنها لا تعلي من درجته على مقياس الرجولة لأنها تعبير عن نزوة منحرفة.

العمل وتحصيل المعاش شرط ملزم كذلك للرجولة، والنقيض من ذلك أي البطالة المتعمدة والعالة والاتّكال تحط بالرجل على مقياس الرجولة، ويصبح هدفاً للتندر والازدراء ويوصف بالطفيلي، ومن يسكن مع عائلة زوجته يسمى تحقيراً في العراق بـ "القعيدي". والذود من الصفات الرئيسية للرجولة، إذ يتوقع من الرجل حماية نفسه وأفراد عائلته من الاعتداء على النفوس والأعراض والسمعة الطيبة والممتلكات والتصدي للمعتدين فلا انكسار أو استسلام أو تنازل لمعتد وإن تطلب ذلك تضحيات جسام، فهو العكس ممن وصفهم المتنبي بـ" من يهن يسهل الهوان عليه"، ويتذكر عراقيون ريفيون بيت شعر لشاعرة بالعامية تتوعد قومها لو تخاذلوا في رد عدوان قبيلة أخرى بأن تدق لهم ربقاً كما لو كانوا ماشية، وقبل سنوات قليلة أقدم رجل دين من أصل عراقي في كندا على تحريض أبناءه على ذبح عراقي من طائفته لأنه تجرأ على مطالبته برد مبالغ تبرع بها عراقيون لإنشاء مركز ديني، وتذرعوا بأنهم فعلوا ذلك حفظاً على سمعة شرفهم من تهمة السرقة، وهو سلوك قبلي بحت ومخالف لشرعة الإسلام التي وضعت قواعد لفض الخلافات بين المسلمين وأحكاماً للقضاء في التهمة الباطلة، والذود الجماعي المشروع في الإسلام نوعان أما لطرد معتد غريب مثل مقاومة غزة للاحتلال والعدوان الصهيوني أو لصد عدوان باغ قريب مثل دفاع اليمنيين أمام العدوان السعودي والإماراتي، ونصرة الغير محكومة بقاعدة انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً كما بينتها السنة النبوية.

من مستلزمات الرجولة أيضاً الفردية، وهي نوعان إيجابية وسلبية، والسلبية تتمثل في الأنانية المفرطة وتوخي المصالح والمنافع الذاتية ولو على حساب الجماعة والمجتمع، أما الإيجابية فهي التميز بالإنجاز والتفوق والإبداع داخل المجتمع ولمنفعة المبدع والمجتمع، ولو هجر المبدع الفذ مجتمعه ليعمل ويبدع في مجتمع غير عربي أو إسلامي لم يحسب له في مقياس الرجولة.

التطور عنصر أساسي في قياس الرجولة، لأن التطور سمة الخلق، مما يوجب على الفرد تطوير نفسه بتعليمها وتهذيبها ليكون فرداً منتجاً ومفيداً

لنفسه ومجتمعه، ورفض التطور دليل على انغلاق فكري وتكاسل، وهما صفتان لا تليقان بالرجولة.

لا تكتمل الرجولة من دون عقيدة إنسانية وقيم سامية وأخلاق عالية، والإنسان دون عقيدة منقاد لأهوائه وغرائزه وحسابات اللذة والألم والربح والخسارة، وقد يكون طفيلياً مستغلاً لجماعته، وربما انحرف تماماً فيغدواً خائناً يعمل لحساب أعداء وطنه وأمته، والعقيدة هي من أهم روابط المجتمع ولعلها الأهم من بين اللغة والعرق والتراث والجغرافية، ويتهدد المجتمع الانقراض أو الذوبان في هامش الجماعة المهيمنة لو اندثرت عقيدته نتيجة حروب الإبادة وغسل الأدمغة والتبشير بعقيدة غريبة ونشر عوامل الضعف بين أفراده مثل الإدمان على المسكرات كما فعل المستعمرون البيض بالشعوب الأصلية في أمريكا الشمالية وغيرها، ومن العقائد السليمة يستمد الفرد القيم السامية والأخلاق العالية، ومن أهمها الإيثار والإصلاح والتعلم والتعاون، وعندما يمارسها يزداد مجتمعه قوة ومنعة وتطوراً، ولم يبالغ الشاعر في قوله إنما الأمم الأخلاق.

للمرأة دور في غاية الأهمية في تنمية الرجولة في الرجال الأقربين والمجتمع كلّه، فمن دون إعلاء النساء للرجولة وخصائصها تخبو قيمتها في المجتمع، ثم أن لمؤسسات المجتمع الدينية والتربوية والثقافية والإعلامية وغيرها تأثير جلي على تبني أفراد المجتمع لقيم الرجولة، وقد تكون إيجابية أو سلبية، فالحكم الطاغوتي الذي يرهب مواطنيه يولد فيهم مشاعر وسلوكيات الخوف والجبن والذل والتملق المعاكسة للرجولة، ونفوسهم انهزامية فلا يتوقع منهم الثبات بوجه الأعداء والانتصار عليهم، وسخر مجند عراقي من الضباط الذين كالوا له ولغيره الإهانات والشتم والضرب في زمن السلم، وفي سوح القتال أمروهم باسم الإخوة والأبناء، ومثله تجنبوا القتال ولاذوا بأماكن آمنة عند المجابهات، وعندما يكون الحكام كما هو حال بعض دول الخليج منهمكين في جمع الثروات وتحصيل الملذات فقد تمتد عدواهم إلى مجتمعاتهم فتضعف أو تموت فيها قيم الرجولة. في الصين استفز المسؤولين الحكوميين ظاهرة تفشي الخجل والتأنث بين ذكور أجيالهم الجديدة فأدخلوا مادة " الرجولة" في المناهج الدراسية.

حرب الصهاينة على غزة واقترافهم المجازر بسكانه المدنيين من رجال ونساء وأطفال على مدى شهرين حتى اليوم واستشهاد وجرح عشرات الآلاف منهم أصعب اختبار لرجولة العرب والمسلمين، ومن المؤسف بأن غالبيتهم العظمى أخفقوا فيه، إذ لم يتناد لنصرتهم وهي من أهم واجبات الرجولة سوى ثلة من المجاهدين من عدد محدود من دول العرب، والمفجع أن الجرائم الصهيونية التي أخرجت مئات الآلاف من غير العرب والمسلمين إلى الشوارع لنصرة غزة لم تدفع من سالم وطبع مع الصهاينة لمراجعة علاقاته الذليلة بالكيان المحتل فيما واصل البعض منهم مثل الإمارات والأردن والبحرين وتركيا وأذربيجان مد المعتدين بالقدرات من وقود وأغذية لاستمرار عدوانهم الهمجي.

لعل رجولة غزّة الحقّة أكثر ما يثير حنق وحقد أشباه الرجال المتهافتين على حبوب الفياجرا وعشبة العنزة ومطاعم ماكدونالدز وأفلام البورنو، في غزّة ارتقى الرجال والنساء والأطفال إلى مصاف الأبطال التاريخيين، فهم ما بين مقاتل شديد البأس وامرأة صامدة وطفل صبور، واتسع ميدان البطولة ليضم أطباء ومسعفين ومنقذين وسائقي سيارات إسعاف وإعلاميين بل وجميع سكان غزّة المصرين على البقاء في موطنهم ومقاومة العدوان الصهيوني، والطفلة الفلسطينية التي سئلت: ما تفتقدين من محتويات منزلكم الذي تركتموه على عجل قبل أن يدمره القصف الصهيوني الفاشي أجابت: حرامات لأغطي بها أخوتي الصغار هي أرجل من أشباه الرجال المتفضلين على غزّة بالوعود الجوفاء والمناشدات الكاذبة، وكل حرامات الدنيا لا تكفي لتغطية خذلانهم وعارهم وذلهم التاريخي.

6 كانون الأول 2023م